مجهودات الشاه ولى الله الدهلوى
فى التقريب بين المذاهب الإسلامية

بقلم: البروفسور نثار أحمد الفاروقى
قسم اللغة العربية و آدابها،
بجامعة دلهى

كان الشاه ولى الله الدهلوى (١) (١١١٤ ـ ١١٧٦هـ) من الشخصيات الرائدة العملاقة في الهند في القرن الثاني عشر الهجرى . و القرن الثامن عشر الميلادى . فقد كان مُفسراً و مُحدثاً و فقيهاً و مُتكلماً و صوفياً و فيلسوفاً و مُنشئاً و شاعراً فى اللغة الفارسية و العربية . و لم يكن أحد من العلماء الهنود آنذاك يتمتع بنظرة عميقة على النظام الإجتماعي لعصره و الأوضاع الإقتصادية و السياسية . و على وهاد التاريخ و نِجادها مثلما نتعرف عليها خلال دراسة فكر الشاه ولى الله الدهلوى . فقد كان رجلاً عبقرياً و عرف ببصيرته النفاذة أن حكم المسلمين على الهند الذى يمتدّ على سبعة قرون يكاد أن ينتهى ، و لو لم يستيقظ المسلمون من سُباتهم فى هذه الفترة الحاسمة من التاريخ و لم يتماسكوا فسوف يضطرون إلى حياة لا يحبونها أبداً . و درس الشاه ولى الله الدهلوى الأوضاع المتغيرة بنظرة عميقة ، و شرع برنامجه الإصلاحى على مستويات مختلفة و رأى أن التعاليم الإسلامية فى الهند لن تبقى فى صورتها الصحيحة النقيّة مادام لا يستحكم نظام التعليم الدينى فى الهند . و تحقيقاً لهذا الهدف السامى قام بالتدريس لمدة إثنى عشر عاماً ، و خرّج جماعة من تلاميذه النجباء الذين واصلوا بعد وفاته تدريس علوم التفسير و الحديث و الفقه و المنطق و الكلام . كما أدرك الشاه ولى الله الدهلوى أن اللغة الفارسية لغة الكتابة و التأليف و اللغة الرسمية فى البلاد ، و لا يعلم اللغة العربية إلاّ طبقة خاصة و أن عامة الناس عالة على هذه الطبقة لمعرفة معاني القرآن الكريم و الحديث الشريف و مفاهيمهما ،

و أن هذه الطبقة ليست بمنجى من عصبياتها و مزاعمها المذهبية . و أن العلاقات العقائدية قد شتت شمل الأمة و مزقت جمعها، و بدل أن توجه الجهود إلى التقريب بين الفرق المختلفة و إيجاد الإنسجام فيما بينها ، تنقسم الفرق القديمة إلى فرق مختلفة حديثة ، فكان من اللازم لردع هذه الفتنة العمياء أن تعمم معرفة القرآن الكريم ، فالف الشاه ولي الله الدهلوي عدة رسائل في أصول تفسير القرآن الكريم و رغم معارضة بعض العلماء له قام بنقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية (٢) ثم لم يلبث أن أخذ ينحسر ظل اللغة الفارسية في الهند و أخذت اللغة الأردية مكانها و أدرك إبنه الشاه عبد القادر (١١٦٧ - ١٢٣٠هـ) بهذا الإنقلاب الصامت و قام في عام ١٢٠٥ هـ بنقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية بأسلوب سلس شيق سهل الفهم و طبع ذلك لأول مرة عام ١٢٥٤هـ باسم "موضح قرآن" (٣)

و يأتي الحديث الشريف في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم لشرح دين الإسلام و بيان أحكامه و تعاليمه السمحة . و كان يرتأي الشاه ولي الله الدهلوي أن كتاب "*الموطأ*" للإمام مالك رحمه الله من أقدم مجموعات الحديث الشريف و أكثرها اعتباراً و أن إقتضابه من إحدى ميزات هذه المجموعة ، فإن كتاب الموطا يضم بين دفتيه أحاديث تعين على إستنباط الأحكام الشرعية و لذا عمل شرحين لهذا الكتاب الجليل: "*المصفا شرح الموطا* باللغة الفارسية و "*المسوى*" باللغة العربية . حتى يستفيد منهما العلماء و عامة الناس جميعاً إستفادة تامة على قدم سواء.

ثم تأتي مرحلة المسائل و الأحكام الفقهية . و هذا هو المنطلق من حيث نجمت خلافات بين مختلف طوائف الأمة ، و قد حاولت كل فرقة أن تقدم بتفسير القرآن الكريم و شرح الحديث الشريف مما يتفق مذهبها و عقيدتها نصح الشاه ولي الله الدهلوي الأمة بأخذ الإعتدال في المسائل المختلف فيها ، و صنف فيه كتابا أسماه "*الإنصاف في سبب الإختلاف*" أن الخلافات حول مسئلة التقليد و عدمه و أراء أئمة الفقه فيها كانت تحتدم في عصره لحد أن العلماء كانوا يدخلون في خلافات مثل رفع اليدين و قراة الفاتحة خلف الإمام و حلّة الغُراب و غير ذلك و كان تكفير بعضهم لبعض نحلهم الشاغل و في مثل هذا الجوّ المكهرب بالخلافات بدأ الشاه ولي الله الدهلوي تفهيم الدين بأسلوب علمي حكيم يقول:

> *" و من أكبر نعم الله سبحانه و تعالى على هذا العبد الضعيف أنه خلع عليّ الفاتحية و وفقني إلى أن افتتح العصر الأخير فقد سئل مني ما هو أحسن الفقه؟ فجمعته و ألَّفت فقه الحديث من جديد "* (٤)

إن نظرة الشاه ولي الله الدهلوي تجاه المذاهب المختلفة في الأمة

كانت تقدم على التفاهم و التسامح و إحترام جميع المذاهب الفقهية و العقائدية ، و لكنّه كان يريد أن يرى الإسلام في صورته النقيّة البيضاء و يستوجب الجهاد في سبيله ، و قد كان ألهم هذا الأسلوب الجديد لخدمة الإسلام في المنام رآه في مكة المكرمة في العاشر من شهر صفر لعام ١١٤٤هـ و ذكر هذه الرؤية في أمكنة عديدة في مؤلفاته يقول:

كأن الحسن و الحسين رضي الله عنهما نزلا في بيتي و بيد الحسن رضي الله تعالى عنه قلم قد انكسر لسانه ، و بسط إليّ يده ليعطيني ، و قال هذا قلم جدّي رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ، ثم قال : حتى يصلحه الحسين فليس ما أصلحه الحسين كما لم يصلحه ، فأخذ الحسين رضي الله عنه و أصلحه ، ثم ناولنيه فسررت به ، ثم جيء برداء مخطط ، فيه خط أخضر و خط أبيض فوضع بين يديهما فرفعه الحسين رضي الله عنه و قال هذا رداء جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألبسني فوضعته على رأسي تعظيماً و حمدت الله تعالى" (٥)

إن هذه الرؤية تشير إلى أنه يسلك طرقاً جديدة لتبليغ الدين بين المسلمين الهنود و ينفخ روحاً جديدة في الفكر الديني و يقيم حجّية الحديث الشريف و يجاهد بقلمه في سبيل إصلاح تفكير الامة المسلمة.

و لإكتناه فكر الشاه ولي الله الدهلوي يجب علينا أولاً أن نعلم أنه كان يعتبر الدين غاية الحياة ، و أن الدين يمنح الحياة غاية واضحة و أن هذه الغاية لا تحدها الحدود بل إنها غاية عامة شاملة مثل الحياة بالذات و أنه لا يمكن إصلاح المجتمع الإسلامي إلاّ حين يستقيم الفكر الديني لدى المسلمين. و قد شرح أسرار الشريعة في كتابه الشهير "*حجة الله البالغة*" بحيث أن الإسلام يبدو منهج حياة متماسك و استعرض كل طبقة و جانب من جوانب مجتمع المسلمين ، و قد صدق محمود أحمد البركاتي حين قال:

"كان فكره موضوعيا ، و كانت مساعيه في تبليغ الدين تقوم على الصدق و الأمانة ، و لم يكن يفكر في مسئلة سواء كانت فقهية أو عقائدية أو كانت تتعلق بالتفسير أو التصوف ، و كان له رأي في ذلك من قبل ، بل إنه كان يودّع مؤلفاته حصيلة فكره بفصّها و نصها" (٦)

و مهتدياً بهذا الفكر مضى الشاه ولي الله الدهلوي يبحث عن أسباب الخلافات العقائدية بين مختلف طوائف المسلمين ، و بالرغم من أن أسرته كانت تمثل مدرسة فكر في الفقه و الكلام و التصوف ، لكن العصبية و التحيّز لم يؤثرا في تحقيقه المسائل ، و وجّه جهوده إلى البحث عن أوجه

الإشتراك بين مختلف المذاهب الفقهية و العقائدية ، و حاول التقليل من فجوة الخلافات بينها ، بدلاً من أن يجعل مناصرة معتقداته نصب عينيه. إن هذا المنهج الفكرى لدى عالم دينى كان غريباً فى المجتمع الإسلامي الهندى حيث كانت جذور الخلافات العقائدية قد تأصلت عبر أكثر من خمسة قرون ، و كان أتباع مذهب واحد لم يكونوا يدرسون كتب المذاهب الأخرى ، و لو درسوها كانت غايتهم الردّ عليها و النيل من شأنها. أن جهود الشاه ولي الله الدهلوى فى سبيل التقريب بين مختلف المذاهب الإسلامية أسفرت عن نتائج متضادة ، ففى جانب واحد كان المقلدون (الأحناف) يعتبرونه قدوتهم و لكنّهم ينكرون بعض أفكاره أو يحرّفون فيها و على الجانب الآخر يعتبره أهل الحديث إمامهم (٨) و قدوتهم و لكنهم أيضاً لا يوافقون على جميع أفكاره (٧) . يقول مؤرخو حياته إنه قد نحلت أقوال عليه فى تأييد السلفية و مناصرتها حتى يتبع الذين يحترمون مكانته العلمية هذه الأفكار بإعتبارهم إياها أفكار الشاه ولي الله الدهلوى. (٩)

و فى القرن الثامن عشر الميلادى كانت جماعة الصوفية تتمتع بأثر و نفوذ بالغين فى المجتمع الهندى ، و حق أنه كان فيهم من باعوا أخراهم بدنياهم و كانوا غافلين عن علم الدين و صبغوا طقوساً مختلفة بصبغة الدين و لكن إلى جانبهم كان هناك بعض كبار الصوفية و كانت توجد فى أسرتهم تقاليد عريقة للسلوك و التصوف أو كانوا قدوة مذهب روحاني ، و هذه الطبقة أيضاً كانت تختلف فيما بينها فى بعض المسائل مثلاً: هل شرعت البيعة للخلافة فحسب أم تجوز لأغراض أخرى أيضاً ؟ أو ما هى العلاقة بين الشريعة و الطريقة الروحية، أو يجوز الذكر جهراً أم لا ؟ و كذلك كانوا يختلفون فى بعض المسائل الفرعية كسماع الموتى و " تصور الشيخ " و التوسل و ما إليها ، و لكن أهم هذه الخلافات كانت حول مسئلة " الوجود " . فقد كانت طبقة تعتقد "بوحدة الوجود" ، و تقول أن لا وجود إلاّ الله و لا موثر فى الوجود إلاّ الله ، ذات الله سبحانه و تعالى واجب الوجود الذى خلق الخلق فى مرتبة الوهم و ذلك يعني أن الوجود خداع البصر لا أصل له كالثلج الذى يذوب و يعود ماءً - و كان الشيخ محي الدين ابن العربى (٥٦٠ - ٦٣٨) من أكبر مناصرى هذه الفكرة ، و فى الهند ألف الشيخ محب الله الإله آبادى (٩٩٦ - ١٠٥٨هـ) كتباً قيمة حول هذه المسئلة الدقيقة. (١٠)

أما الطبقة الثانية فكانت تعتقد "بوحدة الشهود" و كان الشيخ أحمد السهرندى (١١) مجدد الألف الثانى (٩٧١ - ١٠٣٤هـ) إمام هذه النظرية فيما يقال ، مع أننا نعثر على دلائل الإختلاف عن نظرية "وحدة الوجود" فى ملفوظات علاء الدولة السمناني (١٢) (٦٥٩ - ٧٣٧هـ) و السيد أشرف جهانگير السمناني (١٣) (٦٨٨- ٨٠٨هـ) و السيد محمد الحسيني الملقّب بكيسو دراز (١٤) (٧٢١- ٨٢٥هـ) أيضاً. على كل أن اختلاف الصوفية فى هذه المسئلة قد باعد بين

السلاسل الصوفية. و بذل الشاه ولى الله الدهلوى جهوداً مخلصة لتقليل الفجوة بينها ، و إن رسالته الطويلة إلى أفندى إسمعيل بن عبد الله الرومى ثم المدنى و التى طبعت باسم *"الرسالة المدنية"* تلقى الضوء على هذا الموضوع، فقد استعرض فيها نظرتى الوجود استعراضاً علمياً و بذل سعياً مشكوراً تجاه التطبيق بينهما تطبيقاً معنوياً . قال الشاه ولى الله الدهلوى: " إن وحدة الشهود تعنى أن يتبوءا السالك مقاماً يلتقى فيه طرفاً أحكام الجمع و التفريق ، و ذلك يعنى أن السالك قد اهتدى إلى أن يدرك الحقيقة أن الوحدة التى تترأى لنا فى الأشياء إنما هى من وجه واحد ، و أن الكثرة التى ترى مغايرة لها إنما هى الأخرى أيضاً من وجه واحد . أن منزلة المعرفة و السلوك هذه أرفع نسبياً من مقام "وحدة الوجود" ان محاولة التطبيق هذه لم تعجب القائلين بوحدة الوجود أو بوحدة الشهود. فقد طلب الميرزا مظهر جان جانان (١٥) (١١١١- ١١٩٥هـ) إلى خليفته الشيخ غلام يحيى البيهارى (١٦) بالردّ على ذلك ، فكتب رسالته *"كلمات الحق"* (١١٨٤هـ) و دبج الميرزا جان جانان تقريظاً على هذه الرسالة. ثم كتب الشيخ قمر الدين الأورنك ابادى بأمره رسالة أخرى باسم *"مظهر النور"* ، شرحه إبنه السيد نور الهدى باسم *" المظاهر"*.

و توفى الشاه ولى الله الدهلوى فى عام ١١٧٦هـ قبل أن تظهر رسالة *"كلمات الحق"* فردّ عليها أبناءه، و كتب إبنه الشاه رفيع الدين المحدث الدهلوى (١٧) رسالة *" دمغ الباطل"* و قد كانت نية الشاه ولى الله الدهلوى صالحة فى محاولة التطبيق هذه ، و لم يكن يريد أن يفتح باب بحث جديد، فكان يرى أن جميع السلاسل الصوفية تنتهى إلى أمير المؤمنين علي بن أبى طالب كرم الله وجهه عن واسطة الحسن البصرى (ف ١١٠هـ) و لكن لا يثبت اللقاء بينهما الذى يشترط للإستفادة . و أما الأحاديث التى رواها الحسن البصرى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنهما و التى وردت فى كتب الأحاديث مثل صحيح الإمام البخارى و جامع الترمذى و سنن أبى داؤد ليست متصلة و إنما توجد فيها واسطة قيس بن عباد. و ردّ عليه أحد كبار الصوفية من السلسلة الجشتية النظامية الشاه فخر الدين النظامى محب النبى الدهلوى (١٨) (١١٢٦- ١١٩٩هـ) فى كتابه " فخر الحسن" و أثبت أن الحسن البصرى كان إكتسب الفيض الروحى من علي بن أبى طالب رضى الله عنهما.

إن الشيعة الإمامية يشكلون جزأ كبيراً للأمة الإسلامية و اختلف فيهم علماء أهل السنة فى كل عصر، فهناك طبقة الغلاة الذين يكفرون الشيعة الإمامية بغير كلفة ، و لكن الطبقة الأخرى اختارت طريقاً وسطاً و لم تذهب مذهب تكفيرهم ، و هم يستندون إلى أن من يقول "لا إله إلاّ الله محمد رسول الله" و يؤمن بالنبى و الاخرة و يعتقد أن القرآن الكريم منزل من الله تعالى لا يمكن تكفيره . إن وجهة نظر الشاه ولى الله الدهلوى فى هذه القضية أيضاً

كانت واقعية و معتدلة . و قد ذهب في ذلك لحد أنه قال : لو خيرت بين التقليد و عدمه في المسائل الفقهية لأخترت عدم التقليد و لكني " أمرت " أن أعيش مقلداً ، و كذلك كنت أجنح إلى تفضيل علي على الشيخين و لكني " أمرت " بتفضيل الشيخين. و لكن موقفه الوسط هذا لم يعجب أهل السنة فقد ورد في ملفوظات الشاه عبد العزيز الدهلوي (١٩) انه جاء إليه رجل من أفغانستان و سأله عن الشيعة الإمامية ، فذكر له الشاه ولي الله" الدهلوي أقوال المتقدمين من علماء الأمة ثم ذكر له رأيه فيهم ، و لكنّه لم يطمئن إلى جوابه و ذهب. ثم حضر الرجل في خدمته مرة أخرى و أعاد عليه سؤاله الأول فردّ عليه الشاه ولى الله الدهلوى بمثل ما ردّ عليه في المرة الأولى ، فغضب الرجل و قام من المجلس و هو يقول: إن هذا الرجل أيضاً يبدو من الشيعة . " هذا كان حال أهل السنة أما الشيعة أيضاً فلم يكونوا راضين به . و يرجع ذلك في المقام الأول إلى الصراع السياسي الذى شهده العصر الذى عاش فيه الشاه ولى الله الدهلوى حيث كان الناس انقسموا بين الطبقة الإيرانية و الطبقة التورانية ، و لم تكن أى شعبة من شعب الحياة حيث لم يدخل إليها هذا الصراع و الخلاف. و السبب الثاني هو أن مؤلفاته لم تعم بين أهل السنة بالذات فأنّى لها أن تلقى رواجاً بين الشيعة ، و من سقطت إلى يديه مؤلفاته لم يكن كثيرون منهم على إستعداد ليدركوا كُنه فكره ، و ذلك لأنه يتكلم في مصطلحات خاصة ، و كتاباته تصبغت بصبغة الكشف و الوجدان إلى جانب الفلسفة و الكلام.

و السبب الثالث هو أن بعض مؤلفات إبنه الشاه عبد العزيز الدهلوى (٢٠) (١١٥٩- ١٢٣٩هـ) و حفيده الشاه محمد اسمعيل الدهلوى (١١٩٣ -١٢٤٦هـ) قد أوقعت الشيعة في سوء التفاهم تجاه الشاه ولى الله الدهلوى. و ظهر ذلك بحيث أنه فيما تصدى الميرزا على لطف في عام ١٨٠١م لكتابة تراجم شعراء اللغة الأردية فظن شخصاً إسمه الشاه ولى الله اشتياق الدهلوى، من أحفاد الشيخ أحمد السهرندى ، الشاه ولى الله المحدث الدهلوى و مضى يقول "له كتب عديدة لقيت الرواج و القبول ، منها كتابان أحدهما "*قرة العينين في إبطال شهادة الحسين*" و الثاني "*جنة العالية في مناقب معاوية* . مع أن الشخص الذى يتحدث عنه المؤلف يختلف عن شخصية الشاه ولى الله الدهلوى اختلافا تاماً ، كما أنه لم يكن شاعراً باللغة الأردية. و قد أخطأ الميرزا علي لطف حين جعل كتابه "*قرة العينين في تفضيل الشيخين*" محرفاً "*قرة العينين في إبطال شهادة الحسين*" و لكنه لم يؤلف رسالة في مناقب معاوية قط و كذلك لا يوجد أى كتاب في هذا الموضوع للشاه ولى الله اشتياق الدهلوى.

إن الجمع بين الفرق المختلفة للمسلمين على الأمور المشتركة و الخروج بطريق وسط عن طريق التطبيق في المسائل الجزئية ليس هدفاً عسير المنال ، مع أننا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم حين أراد أن يدعو اليهود

و النصارى إلى المفاهمة كتب إليهم غير مرة: "تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم" و لكن الغافلين عن حكمة الدين دوما يريدون أن لا تجتمع كلمة المسلمين حتى فى المسائل التى يمكن الإتفاق فيها و لو أدى ذلك إلى تشتيت شمل المسلمين و تمزيق جمعهم. قد كنت قبل مدة مديدة قرأت كتاباً إسمه "*أصل الشيعة و أصولها*" لمؤلفه العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء، و أوضح فيه المؤلف عقائده بأسلوب رزين هادى مدعم بالدلائل و قد أعجبنى معظم أجزاء الكتاب، و وقر فى قلبى أنه بغض النظر عن بعض المعتقدات الأساسية لا توجد فجوة عميقة بين أهل السنة و الشيعة لا يمكن تضييقها، أو لا يمكن مع بقائها أن يتحقق التفاهم و المصالحة بين هذين الجزئين لجسد الأمة الإسلامية ، و أردت أن أترجم الكتاب إلى اللغة الأردية تعميماً للفائدة ، و لكنى علمت أنه قد ترجم و طبع فى بلدة لكناؤ، و أخذت أبحث عن الترجمة بحثاً شديداً حتى عثرت عليها و لكنى لما قمت بالمقارنة بين أصله العربى و ترجمته الأردية فوجدت فيه فارقاً كبيراً ، فمثلاً كلما كتب المؤلف كلمة خير عن الشيخين ، أو أيد عملهما فقد حذف المترجم تلك العبارة بأسرها أو حرّف عن موضعها ، ففى هذا الجو كيف يمكن أن يتكلل أى جهد للتقريب و إيجاد التفاهم بالنجاح؟

كان الشاه ولى الله الدهلوى خبيراً بأسباب انحطاط المسلمين الهنود ، و كان يرى بأم عينيه أن دولة إسلاميـة عظيمة تأخذ سبيلها إلى الإندثار فلم يكن إلاّ أن يدعو الأمة الإسلامية إلى الوحدة و الوئام فقد أهاب بكل طبقة من طبقات المجتمع و ذكرها بمسئوليتها. فقال مخاطباً للعلماء : "يا من حرموا العقل ، إنكم سميتم أنفسكم علماء ، مع أنكم غارقون فى علوم اليونانيين و مباحث التصريف و النحو و المعاني و ظننتموها علماً ، إن العلم إنما هو آية محكمة أو سنة ثابتة قائمة ... إنى أسئل الذين سلكوا طريقاً وعرا فى الدين، و أسئل العباد و الزهاد و الذين اعتزلوا الدنيا و أزروا إلى الزوايا كيف تشعرون حين فرضتم الدين على أنفسكم و تأبى قلوبكم ، إنكم تؤمنون بكل ما خبث و طاب و ترددون على الناس أحاديث موضوعة مزيفة و ضيقتم الخناق على الناس ، مع أنكم خلقتم ميسرين و لم تبعثوا معسرين."

إن دراسة دقيقة محايدة لمؤلفات الشاه ولى الله الدهلوى توصلنا إلى نتيجة لخّصها المفتى نسيم أحمد الفريدى رحمه الله بقوله:

> " *قد كان الشاه ولـى الله الدهلوى مجدد عصره و حكيم الأمـة و مصلحها و إمام كل علم و فن ، و متعاطفاً مع الإنسانيـة بأسرها و كان إسلامى المذهب ، هندى الموطن ، و قد عم خيره كل صقع و كل قوم من أقوام العالم*".

الهوامش :

(١) أبو الفياض قطب الدين أحمد المعروف بشاه ولي الله بن الشاه عبد الرحيم الدهلوي ولد في الرابع من شوال ١١١٤ه/ ٢١ فبراير ١٧٠٣م في قرية بهولت (مديرية مظفرنغر ولاية اترابراديش) قرأ الكتب الدراسية على أبيه [المتوفي ١٢ صفر ١١٣١هـ /٤ يناير ١٧١٩م] و صار مدرساً في المدرسة الرحيمية و هو ابن ١٥ سنة. سافر إلى الحجاز في ١١٤٣هـ و رفق إلى سماع عدد كبير من مشائخ الحرمين الشريفين خصوصاً من الشيخ أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني و الشيخ وفد الله بن سليمان المغربي و الشيخ تاج الدين الحنفي و عاد إلى الهند في عام ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م.

توفي الشيخ رحمه الله في ٢٩ محرم الحرام ١١٧٦هـ / ٢٠ أغسطس ١٧٦٢م و دفن في مقابر مهنديان (وراء مارستان بنت حاليا) من أخلافه الشاه محمد و الشاه عبد العزيز، (ف ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م) و الشاه رفيع الدين (ف ١٢٣٣هـ/ ١٨١٧م) ، و الشاه عبد القادر (ف ١٢٣٠هـ / ١٨١٥م) و الشاه عبد الغني (ف ١٢٣٠هـ / ١٨١٤م) . أناف عدد مؤلفاته عن ٦٠ كتابا في اللغة العربية و الفارسية و قد ترجم بعضها باللغة الأردية أيضاً و أشهرها

(١) فتح الرحمن ترجمة معاني القران بالفارسية (٢) الفوز الكبير (٣) المسوّى شرح كتاب الموطا بالعربية (٤) مصفى شرح الموطا بالفارسية (٥) تراجم البخاري (٦) الإنتباه في سلاسل أولياء الله (٧) حجة الله البالغة (٨) التفهيمات الإلهية (٩) الإنصاف في بيان سبب الإختلاف (١٠) عقد الجيد في أحكام الإجتهاد و التقليد (١١) فيوض الحرمين (١٢) القول الجميل (١٣) الرسالة المدنية (١٤) القول الجلي في ذكر اثار الولي و غير ذلك.

(٢) بدأ كتابة هذه الترجمة في ١١٥٠هـ/١٧٣٧م و ألقى دروساً عنها في ١١٥٦هـ على تلاميذه (انظر مقدمة فتح الرحمان)

(٣) الشاه عبد القادر بن الشاه ولي الله الدهلوي ولد في ١١٦٧هـ/ ٥٤-١٧٥٣م و استكمل دراساته على الشاه محمد عاشق البولتي (ف١١٨٧هـ) استمر طول حياته ساكنا في غرفة صغيرة في " مسجد اكبرآبادي" (و قد هدمه الافرنج في ١٨٥٧م) . بدأ ترجمة معاني القران الكريم باللغة الأردوية في ١٢٠٥هـ /٩١-١٧٩٠م بأسلوب رزين و إسمه التاريخي " موضح قرآن" (١٢٠٥هـ) قد طبعت هذه الترجمة لأول مرة في ١٢٥٤هـ /١٨٣٨م في مطبع السيد عبد الله بن بهادر علي في هوغلي (بنغال). توفي رحمه الله في عام ١٢٣٠هـ /١٨١٤م و دفن بجوار أبيه. من أرشد تلاميذه مولانا فضل إمام الخير آبادي و المفتي صدر الدين آزرده، و الشاه محمد اسماعيل الدهلوي و الشاه محمد إسحق المحدث و الشاه محمد يعقوب الدهلوي . و كانت من أولاده بنتا إسمها زينب و هي زوجة مصطفى بن الشاه رفيع الدين و ولدت لها بنت إسمها كلثوم و هي زوجة الشاه محمد اسماعيل الدهلوي و أم الشاه محمد عمر. (أنظر:

محمود أحمد بركاتي الشاه ولي الله الدهلوي و أسرته (بالأردوية) لاهور ١٩٧٦م.

(٤) حجة الله البالغة.

(٥) نفس المصدر و رسالة فيوض الحرمين (المشاهدة السادسة)

(٦) محمود احمد بركاتي: الشاه ولي الله و أسرته (لاهور ١٩٧٦م)

(٧) على سبيل المثال طبقة العلماء يقال في الإصطلاح المحلي "الديوبنديون" تعتقد الشاه ولي الله رائدها و تنسب إليه العقائد المحرفة (أنظر للتفصيل ابو الحسن زيد الفاروقي مقدمة القول الجلي في ذكر آثار الولي (دهلي ١٩٨٦م)

(٨) السلفيون (أهل الحديث) يتخذون الإمام إبن تيمية و محمد بن عبدالوهاب النجدي مثلا و يحذون حذوهما و يزعمون أن الشاه ولي الله ايضاً يتبعهما في العقائد و لكن عقائد الشاه تختلف منهما في أكثر الاعمال مثلاً أن الشاه كان يقيم حفلة "عرس" أبيه كل عام، و مقابر أسرته كلها مجصصة مسنمة حتى اليوم و يعتقد الشاه أن المذاهب الفقهية كلها صحيحة و يعتقد أن للنجوم تأثير في أحوالنا و لكن حفيده الشاه محمد اسمعيل يقول في كتابه الشهير " تقوية الإيمان" أن من يعتقد في تأثير النجوم فهو مشرك . فيا للعجب!

(٩) قد نسب كتاب "تحفة الموحدين" من الشاه ولي الله، و يحتوي هذا الكتاب معظم عقائد محمد بن عبد الوهاب النجدي و قيل في هذا الكتاب

" كل من ذهب إلي بلدة أجمير أو على قبر سيد سالار مسعود أو ما ضاهاها لأجل حاجة يطلبها فإنه أثم إثماً أكبر من القتل و الزنا أليس مثله الامثل ما كان يعبد المصنوعات أو مثل من كان يدعو اللات و العزى إلا أنا لا نصرح بالتكفير بعدم النص من الشارع في هذا الأمر المخصوص. " هذا قول منحول (أنظر للتفصيل : مقدمة القول الجلي لأبي الحسن زيد الفاروقي)

(١٠) الشيخ محب الله الإله آبادي من كبار مشائخ السلسلة الجشتية الصابرية كان عالماً صوفياً ، فيلسوفاً ، متكلماً أخذ الطريقة الروحية من الشيخ أبي سعيد الكنكوهي. له تصانيف كثيرة منها شروح على تصانيف الشيخ محي الدين ابن عربي (أنظر للتفصيل: مرآة الأسرار لعبد الرحمن الجشتي و إقتباس الأنوار لمحمد أكرم البراسوي و ذكر المعارف للسيد شوكت حسين (إله آباد ١٣٤٢هـ)

(١١) الشيخ أحمد السهرندي الملقب بمجدد الألف الثاني كان عالماً جليل القدر و صوفياً كبيراً عاش في زمن الإمبراطور المغولي جهانغير و أخذ الطريقة الروحية النقشبندية من الشيخ باقي بالله الدهلوي (ف ١٠١٢هـ) له مصنفات كثيرة و ضريحه في بلدة سهرند (بنجاب) (أنظر للتفصيل: محمد هاشم الكشمي: زبدة المقامات (مطبع محمود لكنئو ١٣٠٢هـ ، و بدر الدين السهرندي: حضرات القدس لاهور ١٩٧١م)

(١٢) علاء الدولة السمناني ركن الدين أبو المكارم أحمد بن شرف الدين محمد بن احمد البيابانكي ولد في ذي الحجة ٦٥٩/ نوفمبر ١٢٦١م في سمنان (خراسان) أخذ الطريقة الروحية عن الشيخ نور الدين عبد الرحمن الكسرتي في السلسلة الكبروية. توفي

رحمه الله في ٢٢ من شهر رجب ٧٣٦/٦مارس ١٣٣٦م في سمنان. كان من أشد ناقدي ابن عربي في نظرية "وحدة الوجود" و كان يقول أن ابن عربي يزعم " الوجود" و الخالق واحداً. و هكذا أخذ فعلاً للخالق كالمعبود مع أن "الوجود" صفة من صفات الله و ليس جوهراً فكان يعتقد أن المنتهي للسالك " العبودية" لا " التوحيد" (أنظر للتفصيل دائرة المعارف الإسلامية)

(١٣) السيد أشرف جهانغير السمناني بن السيد محمد ابراهيم ولد في ٦٨٨/ ١٢٨٩م في سمنان أخذ الطريقة الكبروية عن السيد علاء الدولة السمناني كان كثير السفر و الترحال استقر أخيراً في قرية كشوشة (مديرية فيض آباد) و لقي حتفه هناك في ٢٧ محرم ٨٠٨هـ/ ٦ يوليو ١٤٠٥م. من مصنفاته بشارة المريدين و المكتوبات الأشرفية (كلاهما بالفارسية) (أنظر للتفصيل نظام اليمني لطائف أشرفي و عبد الرحمن الجشتي: مرآة الأسرار و الشيخ عبد الحق أخبار الأخيار و عبد الحي نزهة الخواطر)

(١٤) السيد محمد الحسيني الملقب بكيسودراز بن السيد محمد يوسف قتال الحسيني ولد في ٧٢١هـ و هاجر مع أبويه إلى دولت آباد ثم عاد إلى دهلي بعد سنوات و أخذ الطريقة الجشتية من الشيخ نصير الدين محمود أودهي الملقب بجراغ دلهي (ف ٧٥٧هـ) ثم خرج من دلهي حيطة للوقاية من إغارة تيمور على دلهي و استقر في مدينة كلبركة (كرناتكا) و انتقل إلى جوار رحمة الله في ١٥ ذي القعدة ٨٢٥ و دفن هناك . له مصنفات كثيرة يتجاوز عددها من مائة كتب بالفارسية' و العربية (أنظر للتفصيل محمد أكبر الحسيني · جوامع الكلم و محمد علي ساماني. سير محمدي)

(١٥) ميرزا مظهر جان جانان ولد بين ١١١١- ١١١٢هـ و هو من كبار مشائخ السلسلة النقشبندية. كان عالماً و صوفياً و شاعراً فحلاً. قتل قبلة في محرم ١١٩٥هـ و لم يعقب خلفه الشاه غلام علي النقشبندي الذي هو مرشد الشيخ المعروف محمد خالد الكردي العراقي ، و للميرزا خلفاء كثيرون منهم الشاه عبد الباري الأمروهي (ف ١٢٣٦هـ) أنظر لترجمة الميرزا " مقامات مظهري للشاه غلام علي ، تحقيق و تحشية محمد إقبال مجددي ، لاهور ١٩٨٣م و معمولات مظهرية لنعيم الله البهرائشي. و مكتوبات ميرزا مظهر جان جانان تحقيق عبد الرزاق قريشي).

(١٦) للشيخ غلام يحيى راجع إلى " مقامات مظهري" ٤٢٦ - ٤١٩

(١٧) الشاه رفيع الدين الدهلوي ولد في ١١٦٣ هـ قرأ على أخيه الأكبر الشاه عبد العزيز و خاله الشيخ محمد عاشق البولتي. كان عالماً بالمعقول و المنقول على السواء توفي رحمه الله في ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م ، له مصنفات عديدة منها ترجمة معاني القرآن الكريم(١٢٠٥هـ) ، تكميل الأذهان ، رسالة في تحقيق الألوان ، حاشية على مير زاهد ، دمغ الباطل و غيره (محمود أحمد بركاتي: الشاه ولي الله و أسرته لاهور ١٩٧٦م)

(١٨) الشاه فخر الدين الجشتي النظامي بن الشاه نظام الدين الأورنغ آبادي من مشائخ السلسلة الجشتية ولد في مدينة أورنغ آباد في عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م و درس على العلماء البارزين في عصره ثم انتقل إلى دلهي في عام ١١٦٥هـ و استقر في مدرسة

غازي الدين حيث كان يــدرس الحديث النبـــوي و التصوف. له مصنفات منها: نظام العقائد ، و الرسالة المرجئة ، و فخر الحسن ، و رسالة عين اليقين. توفي في ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م و دفــن في مهرولي بجوار ضريح الخواجة قطب الدين بختيار كعكي قدس سره (أنظر فخر الطالبين، و مناقب فخرية ، و تكملة سير الأولياء، و قواعد فخرية) .

(١٩) ملفوظات عزيزي ، (مطبع فلشمي ميرت)

(٢٠) الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي ولد في ٢٥ من شهر رمضان ١١٥٩هـ / اكتوبر ١٧٤٦م و استكمل دراسته على يد الشيخ محمد عاشــق و البابا فضل الله الكشميري و الشيخ نور الله البودانوي، كان من عباقرة عصره يلقب بسراج الهنـــد. مـــن أرشــد تلاميــذه كل إخوانه ، و السيد أحمد الراي بريلـــوي ، و الشــاه غلام علي الدهلــوي ، و المفتي إلهي بخش الكاندلوي ، و الشاه محمد اسحق المحدث و غيرهم كثيرون ، توفي رحمه الله في السابع من شوال ١١٣٩هـ/ ٦ يونيو ١٨٢٤م و دفن بجــوار أبيــه و جده في مقابر مهنديان بدلهي . له مصنفات كثيرة منهــا : تفسير فتح *العزيز* و سر *الشهادتين* و بستان *المحدثين* و غيره.

(أنظر: نسيم أحمد الفريدي ، الشاه عبد العزيز الدهلوي مجلة ثقافة الهند المجلد: ٤٠ و العدد: ١-٢ ، و محمود أحمد بركاتــي ، الشاه ولي الله الدهلــوي و أسرته و نزهة الخواطر)

[عرضت في المؤتمر الدولي لمجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية المعقود في تهران ايران ١٥ ـ ١٧ شهر ربيع الأول ١٤١٣ هـ]

الزخرفة و صناعة الأوانى الخزفية
خلال العهدين القديم والأوسط للهند

بقلم: ضياء الدين الإصلاحي
دار المصنفين، اعظم جراه

مازالت الهند تعتبر مهداً للعلم و الفن و الحكمة ، و مركزاً لفنون النقش و الصناعة و الحرفة ، و تتروّج فيها زخرفة العمارات و تطريز الأقمشة و صناعة الأوانى الخزفية ، منذ عهدها القديم ، و فيما يلى نتقدم ببحث موجز فى فنون النقش و الزخرفة و الصناعة و أحوالها خلال العهدين القديم و الأوسط من عهودها ، الفنية بالحضارة و الثقافة العريقتين ، و الثرية بالتراث و العطاء التاريخين.

لقد تكشف بعد عمليات الحُفر أن الناس فى العهد الحجرى القديم كانوا يستخدمون الآلات الخشنة المنحوتة من الأحجار ، و كانوا يصتادون بأسلحتهم البشعة غير المصقلة . إن هؤلاء الناس كانوا يرتاعون من الوحوش ، و لذا كانوا يبحثون عن الأمكنة العالية و المناطق الآمنة البعيدة ، فكانوا يسكنون الجبال و التلال ، و يشربون من ما تقع حولها من الغدر و المستنقعات ، أنهم كانوا غير متعرفين إلى الزراعة و صناعة الأوانى الخزفية و إستخدام النار ، و كانوا يتوطنون جميع أنحاء البلاد ، سوى ساحات السند و نهر "جنجا" لعلهم كانوا من أصل حبشى ، تتواجد أجياله حالياً فى جزائر اندمان ، و ملايا و فى بعض قبائل آسام.

و يقال إن الناس قد اطلعوا على زراعة الأراضى و صناعة الأوانى و إستخدام النار فى ما بعد العهد الحجرى القديم و صنعوا آلاتهم من الحجر و الحديد ، فكانوا يحترفون الزراعة و يستانسون الحيوانات و يلبسون ملابس القطن و الصوف. أنهم كانوا يقطنون المغارات ، المزخرفة بالأزهار ، و المنقوشة بمناظر الصيد و الرقص.

و يصعب لنا أن نعين العهد الذى استخدم فيه الإنسان المعادن أول

الأمر. و لكن العثور على الآلات المعدنية مع الآلات الحجرية في العهد الحجرى المتأخر الجديد ، يؤكد أن استخدام المعادن كان قد تروّج شيئاً فشيئاً في العهد نفسه. فنجد في الشمال استخدام النحاس الأحمر و كانسي (نوع من معدن) قبل إستخدام المعادن الأخرى ، ثم يأتي عهد الحديد. و أما في الجنوب فنلاحظ آثار العهد الحديدي في ما بعد العهد الحجرى مباشرة و لانجد في هذه المنطقة أية علامة تدل على تواجد إستخدام النحاس الأحمر و كانسي . و من آلات النحاس الأحمر و الحديد في هذا العهد نجد قوساً و سيوفاً و انصال الرماح و غيرها.

حضارة وادى" السند

أن الأشياء المنكشفة حالياً بعد حفريات موهن جودارو و "هرابا" من العمارات الشامخة و الشوارع الواسعة و الأزقة الفسيحة ، تدل على أن الناس في عهد حضارة السند كانوا مطلعين على مبادئ الحياة المدنية و المعايشة الحضارية ، فإنهم كانوا يزرعون الحنطة و الشعير و يستأنسون الحيوانات و يصنعون الأدوات المنزلية من المعادن و الخزف ، حيث كانوا يزخرفونها بأشكال الأحجار و الأوراق بالكثرة ، و الأواني المستعملة في هذه الحضارة كانت مصنوعة على آلة الفخّار ، و بعضها كانت مصقولة جداً، و منها الدنان الكبيرة و الطسوت و الأكواب و الصحون و الأطباق المتنوعة و الجرار المصنوعة من مختلف أصناف الأحجار. و فيما يتعلق بالمعادن فإنهم كانوا عالمين بإستخدام النحاس الأحمر منها ، حيث كانوا يصنعون به الأواني المنزلية و الأدوات الحربية ، و قلّما نجد في حضارتهم إستخدام "كانسي" في صناعة الأسلحة.

أن الأشياء المستعملة في حضارة وادى" السند و المعثورة عليها حالياً تثبت لنا براعتهم الفنية و مرتبتهم الحضارية في الفنون الجميلة و الميول الثقافية ، فعثر العلماء على أشكال عصافير ذات الصفارة مثلما تصنع هذه الأيام ، و نماذج طريفة من تماثيل الرجال التي تذكرنا بالعهدين العلمي و الصناعي ليونان القديم ، و على تمثال رقاصة تظهر في حالة الرقص ، بالإضافة إلى عدد كبير من تماثيل تتشبه بالملاكة السوداء التي ظنها المؤرخون أن الناس كانوا يعبدونها في الحضارة المذكورة أعلاه.

إن الناس في حضارة وادى" السند كانوا يلبسون البسة بسيطة متظاهرة ، و نسائهم كن يلبسن لباساً صغيراً عادياً يدعى باللغة الهندية "سابه" حيث يبقين أعلى جسمهن مكشوفاً حتى يزيننه بالعقود المصنوعة من درر العقيق أو الذهب أو الخزف . و كن يشددن عليه (على سابه) الحزام الدررى للتزئين.

و إن الأغنياء منهم من الحكام و العباد كانوا يرتدون ملفافاً ثميناً على

حللهم الزاهية الثمينة. بينما كان بؤساءهم يقتنعون بإزار واحد يسمى باللغة الهندية " دهوتي" و كل ذلك يدل على كون الحضارة ، حضارة متقدمة في مجالات الزخرفة و النقش و التجميل.

إن سكان الهند القدامى "دراوڑ" كانوا يعلمون إستخدام المعادن بكل براعة و مهارة ، و أوانيهم الفخارية أيضاً كانت أكثر صفاءً و نقاءً و دقةً ، كما نجد على أسوار معابدهم (المنادر) أبواباً رئيسية مرتفعة زخرفت بصور ألهتهم التي كانوا يعبدونها.

و فيما بعد حضارة "هرابا" حيثما حفرت الآثار التاريخية ، قد وجدت الأشياء الفخارية أيضاً هناك بالضرورة ، ففي عهد " فيدا " كانت قد ترقت حضارة الآريين إلى حد فائق لم تكن عليه من قبل ، فإنهم كانوا يعلمون صناعة الأواني الفخارية و الألوان المختلفة ، و الزخارف المتنوعة، و كان قد بدأ في عهدهم فن تطريز الثياب ، فكان الأمراء و الأغنياء منهم يستعملون الألبسة المصبوغة و الحلل الذهبية متطرزة الأكمام و الكتفين.

و أما ما نجد في عهد البوذيين من أهل الحرفة فهم الجوهريون و الصواغون و النقاشون و الفخارون و الصباغون و الطباخون و الحدادون و غيرهم من المحترفين و المهنيين .

فالفخارون كانوا يصنعون الأدوات المنزلية من الأكواب و الصحون من كل الأنواع و يبيعونها بالجولات . و كان العاملون على الأحجار ينحتون الأعمدة و ينقشون تماثيل البارزة على الأحجار كما كانوا يصنعون صناديق الحجرية و الأكواب البلورية و الأصناف الحجرية الدقيقة و الفنية الأخرى.

إن النقاشين كانوا يلمعون البيوت و يزينونها بالصور الجميلة و يبطنون الأشياء الخشبية بالنورة الجيدة و يزخرفونها بأنواع من النقوش و التزيينات و كانوا يتقدمون بأعلى نماذج الفن و التجميل ، و كان العاجيون يصوغون الأدوات المنزلية الصغيرة من العاج و يزينونها بأجمل أعمال الزخرفة و النقش ، و كان الصباغون يصبغون و يطبعون الثياب المنسوجة ، كما كانت النساء يحترفن الزركشة و الصباغة و التطريز.

و في أواخر عهد " فيدا " كانت تصنع الأكواب و الأواني من الذهب على الأكثر . و كانت ترسم الأصنام و تنقش المنادر و الأبواب و الشبابيك بأجيد الرسوم و النقوش، على أن العمل الذهبي كان عابياً في قصور السلاطين الهندوكين . و كان الأمراء و الأثرياء من الهندوكين ينقشون الجدران و البيوت و يرصعون الأبواب الخشبية بالمعادن و الألوان . كما أن الكراسي و المخيمات و ستائر الأبواب في هذا العهد كانت ترسم بصور الناس و البيوت و بمناظر مختلفة الأنواع ، حتى أن النقاشة و الزخرفة و التزيين كانت ميزة خاصة لجدران بناءات هذا العهد . و كانت تتجاوز الحدود في أكثر الأحيان. و أن الجدران الخارجية أيضاً كانت تنقش بأشكال الحيوانات و الورود

و الدوائر و النقوش المموجة و بالأشكال المتنوعة الجميلة الأخرى ، و كانت تبطن و تطلى داخلياً و خارجياً و في معابد ديانة جين كانت تنحت و تنقش السقوف و الأعمدة و الجدران بتماثيل و الحكايات المتعلقة بالديانة نفسها.

و في عهد سلطنة " موريا " نرى الكثيرين من كبار الملوك و السلاطين مثل "شندراغفتا" و "أشوكا" الذين رعوا فنون النقش و التجميل و التزيين و ربوها في أحضانهم ، حتى أنها تفوقت على العهود السالفة ، و أصبحت إضافة نادرة إلى تاريخ النقاشة و التزيين .

و مع أن عمارات هؤلاء الملوك كانت مصنوعة من الخشب و معظمها لم تتوقف إلى زمن طويل و لكننا نجد في عهودهم نماذج جيدة من فني النحت و البناء فأعمدة ذات حجر واحد تعتبر تذكاراً بنائياً خاصاً لعهد "جوبتا" و تدل على كون العهد متقدماً و راقياً في ميدان النحت و نقش الأحجار.

كما أن أعمدة " أشوكا " ذات حجر واحد نموذج للنحت الجيد و الأستاتية المدهشة . فالعمود الحجري القائم في عمارة "كوتله فيروز شاه بدلهي" بصقله يخدع الناس بكونه معدنياً ، و العبارة المنقوشة عليه تجذب أنظار الناظرين و تستحق الثناء و التقدير.

إن الأعمدة و القباب المشيدة في عهد "أشوكا" تعتبر هامة جداً من ناحية الفن و التعمير ، فبعض من الأعمدة أعدت تماماً بصخرة واحدة من الحجر بدون أي مفصل أو انفكاك بينما استعملت على رؤوس بعض منها صخرة واحدة كبيرة الحجم.

إن هذه الأعمدة تحمل على رؤسها تمثالا أو عدة تماثيل من الحيوانات ، نصبت في أطر مصنوعة من الحجر فنجد على عمود "سارناته" أربعة تماثيل للأسد متصلة الظهور ، و ا لأطراف المزينة بالنقوش الجيدة و الألوان السوداء . كما نجد عليه أشكال العجلات و الأزهار ذات أهمية ثقافية خاصة بالهند.

و في عهد سلاطين " موريا " كانت الزخرفة و الترصيع من الفنون اللطيفة و الشائعة جداً ، على أن النحت و النقش كانا قد وصلا إلى ذروة الكمال في عهد " جوبتا " فالأعمدة المذهبة في قصره كانت مزينة بأشكال عصافير الفضية و النقوش الرائعة الأخرى ، و زخرفة جدران المنادر في عهده تتقدم بنماذج جميلة لفنون النقش و التزيين و تواجد الأشكال و الصور و تماثيل المنحوتة في الأحجاربالكثرة ، يبين لنا كمال النهضة الفنية و النقش و النحت في العهد سالف الذكر.

و إن الأشكال المرسومة على جدران منادر "ديوجره" أمثلة رائعة للنحت و النقش و التجميل ، كما أن الصور المتبقية في الجدران و السقوف لمغارات " اجنتا " تنال شهرة عالمية كبيرة و سمعة دولية رفيعة في فنون النحت و النقش و التصوير.

و يمكن لنا أن نعتبر عهد سلطنة " جوبتا " عهداً جيداً من ناحية البناء و التعمير مع أنه كان يختلف في هذا العهد أسلوب بناء المنادر في شمال الهند و جنوبها إلى حد، فضاعفت الزخرفة و الصياغة روعة المنادر المتواجدة في " كانچي " و " ماملافورم " في بهونيشور (ولاية آسام) و " كهاجوراهو " (الهند الوسطى) و " جلن ناته فوري " (اوريسا).

كما قام أمراء "بلو" بتشييد العمارات الفخمة و المنادر الصلبة في ولايات الجنوب و كثروا من نقش مواجهاتها ، ثم قام أمراء " تشول " بتزيين و ترصيع بوابات منادرهم التي هي أطرزة نادرة للفن و الكمال و مراكز هامّة للسائحين و الزوار.

و إن المسلمين في عهدهم ركزوا الإنتباه إلى فنون الخط و النقش و التعمير و رقوها إلى قمة الرقي و الإزدهار ، فنجد في عهدهم عدداً هائلاً من الخطاطين البرعة و النقاشين المهرة الذين يتضمن فنهم أنواعاً كثيرة من الدقة و اللطافة و الجمال . فإنهم اقتنعوا بفنون الخط و النقش في البداية، و لم يسترعوا عنايتهم بفنون التصوير و التجسيم لكونهما محرمين لدى الإسلام . و لكنهم لم يبقوا على هذا الالتزام إلى زمن طويل و أدخلوا الصورة في أسلوب بنائهم.

و نرى كثيراً من سلاطين المسلمين أنهم علقوا اهتمامهم بنحت الآيات القرآنية الكريمة و الأحاديث النبوية الشريفة و الأبيات الفارسية على عماراتهم الهامة . و نقشوا تاريخ البناء عليها بعبارات جميلة و متوازنة. كما نصبوا طغرات فريدة لا يتسع المجال بعدها لمزيد من النقش و الحسن و التزنين و مع أن الملوك المسلمين كانوا قد ضربوا مثلا رائعة في فنون النقش و البناء الإسلاميين. و لكنهم لكون بعض مهندسيهم محليين تأثروا بطراز هندوكي في البناء ، فزخرفوا مبانيهم بخطوط هندية و نقوش ذات طوابع هندوكية.

إن أول مساجد دلهي و أشهرها مسجد " قوة الإسلام" بناه السلطان قطب الدين ايبك ثم وسعه شمس الدين ايلتتمش في عهده ، حيث أضاف إليه عديدة من الآيات القرآنية الكريمة . فالمسجد كله مزين بالآيات القرآنية و أشكال الأزهار المتنوعة.

و في العهد نفسه بدأ "ايبك" في تشييد "منارة قطب" التي أكملها ايلتتمش هذه المنارة أيضاً مزخرفة تماماً بالآيات و النقوش.

و في نفس العهد تروج بين السلاطين تشييد الأضرحة الفخمة و المقابر الضخمة المنقوشة ، فعلى الجدران الشمالية الجنوبية و الشرقية لضريح ايلتتمش نجد بوابات عالية ذات محاريب ، كما نجد في الجهة الغربية منه ثلاثة محاريب المغلقة المصنوعة من الحجر الأحمر التي نحتت بها الآيات القرآنية المباركة بخطي النسخ و الكوفي.

إن بوابة "علائي" و مسجد الشيخ نظام الدين أولياء المسمى بـ "مسجد جماعت خانه" يعتبران من أهم عمارات عهد علاؤ الدين خلجي فجدران بوابة علائي مزخرفة داخلياً و خارجياً بالآيات القرآنية الكريمة و النقوش المتنوعة . كما زين جانب شرقي لجدار أمامي بمسجد "جماعت خانه" بعديدة من الخطوط الجميلة و النقوش الرائعة.

ساهمت سلطنة دلهي في ترويج الصناعة و الحرفة أيضاً بكل ما كان لديها من السخاء و العطاء . فكان يعمل في مصنع لإعداد الأقمشة المطرزة في عهد محمد تغلق أربعة آلاف صناع و خمسة الاف مطرز على الحرير الذين كانوا يجهزون حللاً ملكية و أزياء أميرية من مختلف الأنواع ، و كانت بلغت الحياكة في هذا العهد قمة الأوج و الإزدهار و لذا كانت فنون الصياغة و التطريز شائعة معظم المدن الكبيرة للبلاد.

فكانت تطرز الأقمشة الحريرية و القطنية و حواشي الساريات (لباس السيدات الهنديات) بالنقوش الجميلة و الخطوط الملونة . و كانت تصنع أقمشة "تشيت" (نوع من الأقمشة المطبوعة) في أنواع متعددة . كما كانت تزين بطانات الألحفة و ملايات السرر بأنواع من عمل التطريز و التلوين.

إن الهند تعرف لأعمالها المعدنية الممتازة منذ القديم فقد اثنى العرب على السيوف الهندية في أشعارهم بالكثرة ، و صناعة الصحون و الأطباق و أغطيتها، و الأكواب و أباريق من النحاس الأصفر و الساعات الجدارية و الأواني و مسارج و علبات التنبول كانت تعم البلاد كلها و صناعة الأواني الفخارية و الدلاء الجلدية في عهد السلاطين المملوكين كانت تعد هناك من صناعات بسيطة عادية ، و كانت تتوفر الأواني الذهبية و الفضية في كل مدينة من البلاد ، كما كانت تصنع الأواني و شبابيك و الأبواب و اللعب من الخشب المنقوش للإستخدام في البيوت و أما صناعة الأواني الصينية و سجاجيد المنقوشة و المطرزة فكانت في طريقها إلى التطور بعد الإيجاد.

و لا يخلو عهد السادات و اللوديين أيضاً عن ميول النقش و التزيين و المميزات الفنية و الثقافية الأخرى فتقدم اللوديون في تشييد الأضرحة تقدماً ملموساً و بنوا عمارات صلبة و متينة و مزخرفة.

و لما جاء سلاطين "مغول" بلطائفهم الفنية و خصائصهم الحضارية ابلغوا فنون التعمير و البناء أوج التقدم و الإزدهار . فنلاحظ في عهدهم أنواعاً كثيرة من اختراعات صناعية و ابداعات بنائية لم يسبق لها مثيل ، فالعمارات الفخمة المشيدة خلال فترة مابين عهدي السلطان "أكبر" و السلطان شاهجهان تقدم لنا نماذج طريفة من النقش و الجمال.

كما أخترعت في هذه الفترة أنواع مختلفة من تطريز الأقمشة و الأزياء ، فكانت تتخصص الألبسة النسائية فيها بأعمال الزركشة و التطريز و الحواشي الذهبية على القمر.

لقد ازدهرت الحياكة في هذه الفترة إزدهاراً واسعاً و يمتاز بها عهد السلطان "أكبر" على وجه الخصوص فظهرت في عهده بمدن "اجره" و "فتح فور" و أحمد آباد صناعات لطيفة و أنواع نادرة من الحياكة و الزركشة و التطريز و مدينة " أحمد آباد" كانت تعتبر مدينة هامة للنسج و الحياكة على الأخص، حيث كانت تصنع فيها الأقمشة المطرزة من أنواع كمخواب و "مخمل" و "تشكن و كارتشوب، و زرى، كما كانت تطرز المخيمات الكبيرة بأسلاك فضية و ذهبية. و قد تصنع أعمدة المخيمات كلها من الذهب و الفضة.

كما شجع السلطان "أكبر" صناعة الشيلان الكشميرية تشجيعاً كبيرا و أوجد فيها ألواناً متعددة، فإنها أولاً كانت تصنع في كشمير و بثلاثة أو أربعة أنواع فحسب. ثم بتشجيع السلطان أصبح في مدينة لاهور فقط أكثر من ألف مصنع لصناعتها، و عدا ذلك كانت تستعمل أنواع كثيرة من الأشياء القماشية المطرزة و الملونة الثمينة في القصور الملكية و محافل الأميرية، و بنغال أيضاً كانت تعد من مراكز معروفة لصناعة "ململ" المطرز و مناديل الحريرية، حيث كانت تنسج هناك حوالي خمسة أو ستة أقسام من نوع "ململ".

لقد اخترع "مغول" اقساماً متعددة من الأواني لتجهيز الأطعمة و تقديمها على الخوان فالإناء المستعملة في مطابخ الملكية كانت تصنع من الذهب و الفضة و المعدن و الحجر و الفخار، و كانت تبيض الإناء النحاسية مرتين في شهر على الأقل و فيما يلي ناتي بعديدة من أسماء الأواني المستعملة وقتذاك في القصور و البيوت، حتى نلقي الضوء على النهضة الصناعية في عهد سلطنة "مغول".

قدر كبير، قدر صغير، قدر أصغر، صيني، طاجن كبير، طاجن صغير، سفود، طاجن، (لطبخ الخبز) ملقاط، طست، مغرفة كبيرة، مغرفة صغيرة، لوح حجري.

و لتقديم الفواكه و الأثمار على الخوان كان الملوك يستخدمون الأكواب الزجاجية و الأطباق النحاسية و الأواني الذهبية و الفضية الأخرى. و نبين فيما يلي أسماء بعض الأدوات المنزلية و المطبخية التي كانت تستخدم في مطابخ الملوك بوجه الخصوص.

"المسرجة الزهرية، المشربة الفخارية (المصنوعة من الخزف الصيني) الصحن الكبير (لتقديم الأرز) الصحن الصغير، الطبق، الكوب الكبير، الكأس الكبير، الكأس الصغير، الفنجان المقلاة، صحنة بوقال، الخوان، الصينية، الصينية الكبيرة، المنضدة، الخزانة، الكوب، الجرة، السقاية، الدلو، الإبريق الكبير، الإبريق الصغير، و الطسوت من مختلف الأنواع و الأحجام"

ربّما كانت تصنع إناء الطبخ و الأكل من الخزف. و كان يستعملها الأمراء و الفقراء كلاهما لكون بعض المطبوخات أكثر لذة و رائحة عند الأكل لو طبخت

فى القدور المصنوعة من الخزف و كانت تصنع مباصق و الاعيب و الزهريات و الشيشات و الثمار من الخزف ، حيث تصقل هـذه الأشيـاء بالألوان المختلفة و النقوش المتنوعة ، و كانت قد تستخدم عديدة من الأوانى الخزفية فى تزيين مجالس الملوك و تجميل محافل الأمـراء ، و كان لابد من كونهـا منقوشـة و مزخرفة . و سبق فى بيان الشيلان الكشميرية النادرة و الشهيرة فى العالم أن لفنون الصناعة و الزخرفة فى المناطق الهامة و المدن المركزية للهند كانت على قمة الرقى و الإزدهار.

إن النقوش و الزخارف الزاهية على إناء الكشميرين يميزهم عن فنون الهنـد و إيران فكانوا يصنعون أباريقهم مـن النحاس الأحمر على العموم. و يستلزمون عليها النقش و الترصيع و التبييض ، و يركبون فيها القبض المصنوعة من النحاس الأصفر التي تكون مثل رأس الثعبان الصينى أو ذنبها، و هذه القبض مع تواجد العلامات الفنية الهندوكية عليها ، تحمل طابعاً إيرانيا فى صنعها.

و ماعدا الأواني المعدنية كان قد ازدهر فن النقش على الخشب فى عهد سلاطين كشمير ، و لكنه لم يتبق عندنا إلاّ نموذجاً واحداً و هو باب المسجد المدنى و شبابيكه النادرة ذات سجاجيـدة منقوشـة.

و لا تخلو العمارات المشيدة فى هذا العهد عن النقش و الزخرفة و الفن التى تؤكد لنا ارتعابا قديماً للكشميريين فى هذه الفنون.

كما نرى في المدن المتعددة بولايتى راجستهان و غجرات عديدة من الأبواب المصنوعة فى العهد الأوسط و المنحوتة بأحسن الزخارف و أجمل النقوش ، فأعمدة المعبد الهندوكى فى "تادولى" مأثرة خالدة لأعمـال النقش و اللطافة و الدقة و الكمال.

و لا شك أن منطقة غجرات من كبرى المناطق التى تشرفت بمتابعة الملوك و اهتمـام السلاطين و تمتعت بلطائفهـم و تخصصاتهم فـى النقش و الزخرفة و التجميل ، ولكن معظم آثارها قد اندثرت مع اندثار هؤلاء الملوك والسلاطين و بقيت لدينا عديدة من آثار الأضرحة المنقوشة و بقيات المنادر المزخرفة كنماذج خالدة لثقافة "غجرات" ذاك اليوم. و كذكرىً حية لهؤلاء المؤسسين ، فى مجال الفن و التعمير . فأعمال النقش و التشبك و الرخام على الأضرحة و المساجد و المنادر المتبقية هناك تنطق لنا حكاية ذلك العهد الذهبى الذى عاشه أهالى غجرات فى وقتهم القديم . و تستحقّ منا الزيارة و المشاهدة و التقدير.

إن شبابيك الحجرية الجميلة التى ركبت بإهتمـام خاص فى مسجـد "ذى الشبابيك" بمدينة أحمد آباد يندر تطريزها فى العالم . فأشكال الأشجار و الوريقات المنحوتة على بعض منها تحولتها إلى منظر بستان صغير، كما أن وريقات النخل و أشجار الجوز الهندى المنقوشة عليها بكل دقة و جمال ، تخدع

بكونها مطرزة على القماش ، فلا شك أن الزخارف الفاتنة المنحوتة على المسجد المذكور أعلاه معجزة فنية من أيادي النقاشين المهرة و الناحتين البرعة الذين خدموا فنهم و تركوه يتحدى العالم و يحير الفنانين و الرسامين إلى الأبد.

لقد ترقت صناعة تشكن" (نوع من القماش) في عهد أمراء " أودهـ" فكل من مدن بنارس و مئو و غوسي (Ghosi) و مبارك فور (أعظم جره) تعرف لصناعة الساريات القطنية و الحريرية الجميلة منذ زمان ، و مدينة بهدوني (بنارس) تعتبر مركزاً لصناعة سجاجيد ، و كانت تصنع الإناء الفخاريــة في مـــدن لاهور و ملتان و تهته و داكا و مرزافـور و بنارس و نظــام آبــاد و باتــن و بــرودا و بهروچ و سورت بكل براعة و لطافة و جمال ، كما نجد في مدن برهـــان فور و باتن و برودا و بهروچ و سو رت عدداً كبيــراً مــن النقاشين و المطــرزين البارعين حتى اليوم.

فمازالت الهند تعرف لأعمـــال النحاسين الأصفـر و الأحمـر و الذهب و الفضة و صناعة الأقمشة المصبوغة و المطبوعة و الأشياء اللطيفة المصنوعة باليد و اختراع أنواع عديدة من القماش مثل أقمشة "جامه دار" و كمخواب منذ فجر الحضارة كما تحمل سمعة طيبة و شهرة واسعة فـي مجال فنون النقش و تلوين الأشيـاء الخشبيـة و البنائيـــة و نحت و ترصيـــع الأحجار ، و زخرفة الأواني و زركشة و تطريز الأقمشة منذ عهدها القديم . و لا تزال الأشياء المصنوعة في الهند تطلب بعدد هائل في الدول الخارجية لحد الآن.

تعريب : محمد مزمل الحق الحسيني

المصادر و المراجع :

١ـ أبو القاسم صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت (١٩١٢م)

٢ ـ أحمد علي قلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية مصر . (١٩٢٠)

٣ ـ بي ـ ايم بانيكار : تاريخ الهند القديم مكتبة الجامعة الملية الإسلامية عليجراه (١٩٢٤م)

٤ ـ تي ـ دبليو ـ ريس ـ ديويدس : الهند البوذي (ترجمة الأستاذ سيد سجاد) دار الطبع بالجامعة العثمانية بحيدر اباد (١٩٢٢م)

٥ ـ العلامة عبد الله يوسف علي. | الأوضاع الإجتماعية و الإقتصادية في الأزمنة الوسطى لتاريخ الهند ، المجمع الهندي بـ "إله آباد" (١٩٣١م)

٦ـ كوري شنكرا اهيرا اوجها. | الحضارة الهندية في القرون الوسطى ترجمة منشي بريم شتندرا. المجمع الهندي بـ "إله آباد" (١٩٣١م)

٧ ـ العلامة شبلي النعماني: | مقالات شبلي (المجلد السادس) مطبعة "معارف" أعظم جراه. (١٩٣٧م)

٨ ـ السيد صباح الدين عبد الرحمن. | نظرة عابرة على العهد الأوسط للهند ، مطبعة معارف أعظم جراه (١٩٣٧م)
اشراقات حضارية في عهد سلاطين المسلمين للهند. (مطبعه معارف اعظم جراه ١٩٦٣م).

٩ ـ السيد ابو ظفر الندوي . | التاريـــخ الحضـــــاري بـجـــرات ، ندوة المصنفين دلهي (١٩٥٨م)
البطولات الحضارية في عهد سلاطين المسلمين للهنـد (مطبعـة معـــارف اعظم جراه) (١٩٦٣م)

١٠ ـ الدكتور السيد معين الحق. | فن البناء في العهد الإسلامي . دائـرة معين المعارف كراتشي (١٩٦٥م)
تاريخ الهند و باكستان (الجزء الأول) دائرة معين المعارف كراتشي (١٩٦٦م)

١١ ـ البروفيسور محب الحسن: | الكشمير في عهد السلاطين (مطبعة معارف أعظم جراه) (١٩٦٧م)

١٢ ـ سفارش حسين رضوي. | تراثنا الحضاري ، جمال برنتنغ بريس دلهي (١٩٦٧م)

١٣ ـ راما شنكرا ترباتي. | تاريخ الهنـد القـــديم (ترجمـــة السيد سخي حسن نقوي) ترقــي أردو بيـورو نيو دلهي. (١٩٨١م)

١٤ـ اي ، ايل باشم : | الماضي المشرق للهند (ترجمة ايس غلام سمناني) ترقي اردو بيورو نيو دلهي (١٩٨٢م)

تيبـو سلطـــان

(تيبو سلطان حاكم إمارة ميسور في الهند سابقاً)

بقلم : دكتور سيد داؤد أشرف
أمين المخطوطات في خزانة السجلات
حيدرآباد ـ ولاية آندرا

من أعماله المجيدة:

[تحتفل حكومة كرناتكا بذكرى مرور مائتي عام على وفاة تيبو سلطان. فقد أعلن كبير وزرائها المستر ويرابا مونيلي بدء برامج جديدة بهذه المناسبة. و قد تم إعداد هذا المقال باستعانة خزانة المخطوطات و السجلات بحكومة أندهرا براديش.]

هناك انطباع عام بأن تيبو سلطان لم يكن إلا محباً للوطن و فارسا شجاعاً فحسب، و لاشك بأن قصص جرأتـه و حكايات بسالته و شجاعتـه قد أصبحت تزين الكتب و وجدت مكاناً مرموقاً في التاريخ. و إن السلطان كان تجسيداً لهذه الصفات الجليلة و لكن لم يكن فيه كل ذلك فقط. و إنما كان فيه المزيد إلى جانب ذلك. إذ أنه كان حاكما لإمارة فقد وضع نصب عينيه تحسين النظام و القانون و رفـع مستـوى الزراعـة و إقامـة مجتمع سليم و تطهيره من الرذائل و السيئات . و لا ينحصر الأمر في ذلك بل اتخذ خطوات سريعة لوضع أفكاره و نظرياته و آرائه موضع التنفيذ. فمجمل القول إن له كانت منزلة مرموقة و شأن عظيم بين الحكام الآخرين.

و في هذا المقال يعرف الكاتب بمخطوطة فارسية هامة ، نادرة بإسم حكم نامة (كتاب الأوامر) فتسلط هذه المخطوطة ضوءاً كافياً على السياسات الزراعية و الإقتصادية و الإجتماعية و ما يتعلق بنظام الحكم. و هي محفوظة بسجلات ولاية أندهرابرابيش. و أنها تعتبر مرجعاً تاريخياً ثميناً للتاريخ

فى الهند. فقد اعدت هذه المخطوطة فى عهد السلطان فى عام ١٧٨٧م. و فى صفحتها الأول ختم لـه و فـى الأخيرة منها بعد إنتهاء المتن توقيـع لـه. و قد استوعب الكاتب المؤرخ جميع المراجع و المصادر المتوفرة فى داخل البلاد و خارجها . و قد ذكر فى كتابه القيم المؤلف باللغة الإنجليزية بإسم History of Tibu Sultan (تاريخ تيبو سلطان) مرسومـاً توجد فيـه تعليمات السلطان للسفراء المبعوثين إلى تركيا. كما كتب المؤلف أنه توجد بمكتبـة الجمعيـة الأسيوية الملكية فى البنغال (Royal Asiatic Socity) مراسيم سلطانية أخرى أيضاً. كما ذكر الكاتب أن أوامر السلطان كانت تصدر من سـرنجا بتنـم بثلاث لغات و هى الفارسية و الكنارية و المراثية. و المراسيم الملكى الموجودة فى ارشيف حكومة أندهرابراديش المكتوبة بالفارسيـة لها تراجم إلـى لغتى الكنارية و المراثية. و توجد فيها ١٢٩مرسوما. و قد صدرت إلى مسئول محكمة ظفرآباد بمركز جمل مرو. و إن التاريخ المندرج فى نهاية السطر الأخير للمخطوطة يقول: تحريراً فى ١٨ من شهر "رباني ٥١٢١ المحمدى" إلا أن التاريخ المذكور لا يوضح الشهر و السنـة ٥١٢١ و التقويم توضيحـاً تاما إلاّ بعد جهد جهيد.

و المخطوطة تشير إلى أن السلطان قد اتخذ خطوات جديدة فى مجالات عديدة من الحياة . فقد اعلن السلطان ، خلال يناير ١٧٨٤م تنفيذ تقويم جـديـد. و استلهم أسماء الشهور الإثنا عشر من شهور التقويم الهجرى. إلاّ أن السلطان قد أجرى بعض التعديلات على تقويمه و قد غيّر أسماء بعض الشهور. و فى هذا التقويم الجديد يوجد الشهر الأخير بإسم "ربانى" كما غيّر السلطان الطريقة العادية لكتابة الأعداد. ففى الطريقة العادية الرائجـة تكتب الأعداد من اليمين إلى اليسار. و لكن بموجب الطريقة الجديدة التى ابتكرها السلطان تكتب من اليمين إلى اليسار. و على هذا أن الأعداد المذكورة فى المخطوطة ٥١٢١ ينبغى أن تكون ١٢٥١. و لكـن يظهر أن هـذا غيـر صحيح حيث السلطان كان قد استشهد حتى ذلك الوقت. و يتضح أن السلطان بدأ تقويمه من العام الذى اعلن فيه الرسول نبوتـه. ، يتبين من بعض المرسومات المختارة السمات البارزة للزراعة و المجتمع و بعض الميزات الأخرى فى عهده. و إلى جانب ذلك يتضح منها افكار السلطان الإجتماعية و نظرياتـه و نوعيـة المجتمع الذى كان يريد أن يبنيه.

إن مسألة تحريم المسكرات لا تزال تشكل مشكلة هامة و لها أولويـة فـى شبه القارة. و إن موقف السلطان من المسكرات و تحريمها واضح كل الوضوح و ليس فيه أدنى مجال للشك. و تتضح السياسـة الزراعيـة و الغذائيـة بالمرسومات الآتية. التى تقول :

"إذا قلّت محاصيل القمح و الذرة فى منطقة، ينبغى فرض ضريبـة

بأربعة أسباب الراحة بدلا من خمسة الأسباب لمدة ثلاث سنين. و من العام الرابع تؤخذ الضريبة كالعادة. و في مكان تزرع فيه الحبوب الزراعية دائماً. فينبغي إعطاء الاراضي على أساس الإقتسام في الغلة لزيادة القمح و الذرة و تشجيع التجار على زيادة توصيل القمح إلى الأسواق و الإعفاء عن ربع الضريبة. و في هذه الحالة ينبغي للمزارعين الزيادة في زراعة الحمص و العدس و الفصوليا و الخضراوات . و المزارعين الذين يبدأون لأول مرة زراعة الجوز الهندي ، فينبغي اعفاؤهم لمدة أربع سنين عن دفع العوائد. و في السنة الخامسة تؤخذ منهم العوائد بمقدار النصف. و من السنة السادسة تؤخذ منهم كالعادة. و الخضراوات المزروعة تحت الأشجار تترك للمزراعين لمدة أربع سنين ، و في القرى التي أرضها خصبة و صالحة للزراعة فيجب أن يطلب من عمدها و رؤسائها الزيادة في زراعة قصب السكر. و في القرى التي تصلح أراضيها لزراعة قصب السكر و عمدها و رؤسائها يتساهلون في زراعتها ، فتؤخذ منهم الضريبة مضاعفة من الضريبة المقررة. و إذا بدأ المزارع زراعة الفوفل لأول مرة. فتعفى منه الضريبة لمدة خمس سنوات.

ان أحكامه بشأن الأرض و ضرائبها لها أهمية كبرى في سياسة السلطان الإقتصادية. و لكنه من أجل تنفيذ هذه السياسة لا يتجاهل عن قمع الفساد. و إن مرسومات السلطان التالية تؤيد هذا القول :

"المزارع الذى يزرع البذور بمقدار معين ، فتعطى له الأرض بمقدار ٨ كروة حصة لأعضاء أسرته. و يحدد هذا المقدار كل سنة بعد معرفة الزيادة و النقص. و تعطى نصف العائدة للحكومة و نصفها للمزارع. و يؤخذ هذا العائد نقداً. و يجب أن لا تعطى قريتان لشخص واحد بالأجرة. و إنما قرية واحدة فقط لشخص واحد حسب النظام. و تقرر الأجرة على أساس تفاصيل الإنتاج الزراعي الحال و الماضي . و تؤخذ من الأجير وثيقة . و إذا لم يزرع الأجير المتعهد الأرض و تركها غير مزروعة فتؤخذ منه الغرامة حسب الوثيقة من دخوله الأخرى. و في هذا الصدد يراعي بان لايظلم أحد على المزارع عند أخذ الغرامة. و يعين لكل قرية عمدة منذ البداية. و إذا فشل العمدة في أداء واجبه فيعين محله شخص آخر ذو أهلية من بين المزارعين. و إذا جمع محصل ضريبة أكثر مما هو المقرر و يودع في خزينة الحكومة مبلغاً أقل فيجب أن يجري فيه التحقيق بطريقة جيدة. و تمسح الأراضي من جديد و تحصل الضريبة كالمعتاد. و العمد الذين يزرعون

الأراضي بأنفسهم أو بإستعانة شخص اخر، فتؤخذ منهم الضريبة كالمعتاد. تودع في خزينـة الدولة. و المحصلون و الوظفون الرسميون الآخرون الـذين يأخذون بدل التنقل في القرى فيجب إيقاف العمل بـه و اعتبـاره محرما. و تلغى هذه القاعدة منـذ الآن فصاعدا. أما علاواتهم الأخرى فسوف تدفع لهم من خزينة الدولـة".

أما المسكرات فيعتبرها السلطان مصدرا و أمًا للعديـد مـن السيـئات. فهو يريد أن ينفذ قانون تحريم المسكرات بطريقـة صارمـة حتى لا تصنع المسكرات خفيـة أو سراً. و كذلك هو يريد القضاء على لعنة الزنا و علاقات جنسية غير مشروعـة حتى يكون المجتمع طاهراً. و في هذا الصدد توجـد فـي وثيقة المرسوم أحكام تالية

"تفرض الغرامة على كل من يزرع المخدرات (البنج) في أقاليم الإمارة. و إذا خرق أحد هذا القانون بزراعتها خلف بيته و في فنائه، فتفرض عليه الغرامـة. كما تغلق جميع محلات بيع الخمور. و يطلب مـن صانعـي الخمور أن يكسبوا عيشهم بتجـارة الغلـة. و المنتهك لهذا القانون يقطع يده حتى تنتهي تجـارة الخمور تمامـا. و إذا امتنع أحد من الزواج و أقام علاقات غير مشروعة مع إمرأة ساقطة فيسلم للحكومة و تفرض عليه الغرامة ، لأنه مجرم عند الحكومة".

تعريب: شميم الحسن أمانة الله

تصويب

لقد طبع في العدد السابق (المجلد ٤٤ العدد ١) عنوان مقال الأستاذ محمد سليمان أشرف "المدخل في طمأنينة النفس" بدلاً من "المدخل إلى طمأنينة النفس" ، فنحن نأسف على هذا الخطأ الفاحش و نرجو من الكاتب الفاضل الاعفاء منه .

(التحرير)

الحلقة الثانية:

حركة السيد أحمد خان التعليمية

بقلم: البروفسور أختر الواسع
قسم الدراسات الإسلامية
بالجامعة الملية الإسلامية ، دلهي الجديدة

التعليم الديني:

و قد ظلّ المؤتمر منذ البداية يؤكد على أهمية تدريس العلوم الدينية في المدارس في جميع مراحل الدراسة من الابتدائية إلى العليا و اتخذ أكثر من مرة قرارات عديدة حول ضرورة تحفيظ القرآن الكريم(١) فقد وافق في ١٨٩٦م على قرار داعياً إلى إصلاح الكتاتيب و المدارس التقليدية القديمة المعنية بتحفيظ القرآن الكريمو تدريس العلوم الدينية (٢) و في ١٨٩٨م على قرار آخر حول وجوب تدريس العلوم الدينية في كلية عليجره الاسلامية (٣) كما اتخذ في ١٩٠٦م قراراً أبدى فيه تاييده لدارالعلوم التابعة لندوة العلماء بهدف طمانة الحكومة الاقليمية لولاية أترابراديش عن نشاطاتها و استرداد ثقتها فيها و التي كانت قد أصبحت سيّة الظن عنها. و اتخذ المؤتمر كذلك قرارات أخرى عديدة مؤكدة من خلالها على ضرورة تدريس العلوم الدينية لطلاب المدارس الانجليزية و العصرية و كانت النتيجة أن سمحت الحكومة المتحدة لولاية أغرة و أودهـ و ولاية البنجاب بتدريس العلوم الدينية للطلاب المسلمين في المدارس و الكليات الحكومية (٤).

و عندما رفعت فتنة الردّة رأسها في أوائل هذا القرن تحرّك المؤتمر في معارضتها و قام بإنشاء كتاتيب خاصة لتعليم القرآن الكريم و اللغة الأردية للمسلمين السذج الذين كانوا يعيشون في القرى و الأرياف و يقعون فريسة سهلة للفتنة لجهلهم بالدين (٥). و اتخذ المؤتمر قرارات عديدة حول إنشاء مدارس خاصة في طول أنحاء البلاد من أجل تدريب الأئمة و تربية الطلاب المتخرجين من المدارس الاسلامية للعمل كالدُعاة فيما بين عامة المسلمين (٦) و أكد على ضرورة إعداد كتب و رسائل متصلة بهذا الموضوع ونشرها و توزيعها على الناس (٧) إلى جانب إيلاء الاهتمام لإعداد رسائل علمية مؤثرة حول سيرة النبي صلى الله عليه وسلم (٨) .

و علـى كل ، ففـي ضوء ما ذكرنا آنفاً ، لا نكـون مخطئين او مبالغيـن إذا قلنا أن لجهودات المؤتمر كان دوراً بارزاً في إجراء و تطوير دراسة العلوم الدينية في جامعة عليجره الاسلامية.

العلوم الصناعية و التكنولوجية :

كان المفكرون و الزعماء الاسلاميون في الهند قد اتفقوا على ضرورة ترويج العلوم الصناعية و التكنولوجيـة في الهنـد بعـد ١٨٥٧م، و الذي كان قد أصبح من أهم متطلبات الوقت في ضوء التغيرات السريعة المدهشة في مجال الصناعة والتكنولوجيا . كانت الصناعات التقليدية في الهند تمرّ بمرحلة خطيرة جدا من تاريخها و تلفظ أنفاسها الأخيرة أمام موجة من الصناعات الحديثة المزوّدة بأحدث الآلات و الأجهزة التي تدفقت إلـى البلاد مع الانجليـز ، و كان أهلها قد بدأوا يفلسون و يتخلّفون اقتصاديا بعد أن بدأت واردات أوروبا تملأ الهند و أسواقها (٩) . و من هنا ، فقد كانت الحاجة شديدة لإنقاذ الهنود من تلك الأزمة الاقتصادية و الصناعية و ذلك الإفلاس المهدّدين من خلال ترويج العلوم الصناعية و التكنولوجيا فيما بينهم ، فوجّه المؤتمر في اجتماعه السنوي المنعقد في ١٩٠٤م نداءاً إلى الأمة الاسلامية لإجراء منح دراسية خاصة لدراسـة العلوم الصناعية و الهندسيـة و التكنولوجيـة (١٠) ، و لكن لم يجد للأسف آذناً مصغية . و أكدّ المؤتمر من خلال قرار اتخذه في ١٩٣٣م في الاجتماع المنعقد في لاهور على هذا الأمر من جديد و شكلت لجنة خاصـة لدراسـة هـذا الموضـوع و إعـداد تقرير شامـل حول طريقـة ترويـج العلـوم الصناعيـة و التكنولوجية فيما بين المسلمين (١١). و قدمت هذه اللجنة المكوّنة من الدكتور ضياء الديـن و الحافظ محمد ابراهيم و المولانا طفيل أحمد المنغلوري تقريرها في الاجتماع السنوي المنعقد في مدينة ميرت (١٢)، و لكن الحقيقة المرّة التي يجب أن أصرّح بها هنا هو أن كل هذه الجهود الحثيثة للمؤتمر ذهبت سدى و لم يول المسلمون لهذا الجانب الهام الاهتمام اللائق به.

تعليم المرأة :

إن موضوع تعليم البنات كان يتمتع بأهمية و حساسية بالغة في عهد السير سيد أحمد خان ، و لذلك ، فانه على الرغم من كونه من المؤيدين المتحمّسين لتعليم المرأة و تثقيفها (١٣) رأى من المصلحة، و الذي كان من متطلبات ذلك الوقت أيضا، أن لا يتعرّض لهذا الموضوع في شكل حماسي نشيط، و لكنه لم يتغافل عنه تماما أيضا. فقد اتخذ المؤتمر في ١٨٨٨م قراراً بخصوص إنشاء كتاتيـب و معاهـد مستقلـة لتعليم البنـات وفقاً للأصـول و المتطلبات الاسلامية (١٤)، و بعد ثلاث سنوات فقط ، أثار المؤتمر موضوع تعليم المرأة من جديد مؤكداً من خلال قرار اتخذه في هذا الصدد.

و بالنسبة لنوعية التعليم، فان المؤتمر يقول بأنه يجب أن يكون هذا التعليم بحيث تتمكن بفضلها المرأة من التطور و التثقيف في حياتها العلمية و الخلقية و تربية الأبناء و البنات تربية إسلامية صحيحة (١٥). و وافق المؤتمر في الاجتماع السنوي له المنعقد في ١٨٩٩م على اقتراح حول ضرورة إنشاء مدرسة خاصة مستقلة لتعليم البنات (١٦) و في نفس الوقت تقرر تشكيل لجنة خاصة تابعة للمؤتمر تعنى بهذا الموضوع بصفة خاصة (١٧) .

و بما أن الشيخ محمد عبد الله كان لديه اهتمام خاص بتعليم المرأة ، تم اختياره كأمين عام لهذه اللجنة الخاصة للمؤتمر، و التي ظلّ أعضاءها يشاركون في الاجتماعات السنوية للمؤتمرباستمرار. و نتيجة للجهود الحثيثة المتواصلة للشيخ عبد الله و زوجته السيدة وحيد جهان ، فقد تمّ افتتاح مدرسة خاصة لتعليم البنات في جامعة عليجره الاسلامية ، أصبحت معروفة فيمابعد على مستوى البلاد، و هي تعنى اليوم بتدريس العلوم الدينية و العصرية إلى درجة البكالوريوس، و قد نالت الكثير من المتخرجات من هذه الكلية شهادات الماجستير و الدكتوراة و تمتعن بمكانة مرموقة في مختلف مجالات الحياة. و هكذا ، فانه لا يكون من المبالغة القول بأن المؤتمر أدّى دوراً هاماً و أساسياً في تعليم المرأة و تثقيفها، حيث نجح في استرعاء انتباه عامة الجماهير إلى هذا المجال لدرجة أقيمت مدارس عديدة في مختلف أنحاء البلاد لتعليم البنات المسلمات، بلغت بعضها إلى مستوى الكليات المتوسطة و العالية.

العلوم الشرقية :

بجانب الاعتناء بالعلوم الغربية العصرية ، فقد ركزّ المؤتمر اهتمامه على نشر و تدريس العلوم الشرقية أيضا و استمرّ يتخذ في اجتماعاته السنوية قرارات أكدّ من خلالها على ضرورة الاعتناء بدارسة و تطوير العلوم الشرقية و اللغتين الفارسية و العربية (١٨)، و طالب من الحكومة إجراء منح دراسية خاصة للطلاب المسلمين تشجيعا لهم على دراسة هذه العلوم و اللغات الشرقية (١٩) و أكدّ على ضرورة جمع المخطوطات القديمة باللغتين العربية و الفارسية و تحقيقها و نشرها (٢٠) ، احتفاظا بالتراث الاسلامي الشرقي القديم. و طالب أيضا بتحسين تعليم الطب اليوناني و تطويره (٢١).

ليس هناك من شك في أن المؤتمر ظلّ يحمل أفكارا تقدمية دائما و استمر يشعر بضرورة تدريس طلاب المدارس الدينية العلوم العصرية أيضا من الطبيعة و الفلسفة و التاريخ إلى جانب الاعتناء بموضوع دراسة مقارنة للأديان (٢٢)، و مع ذلك فانه لم يتغافل قط عن العلوم و الآداب الشرقية الاسلامية بل تقدم دائما إلى الامام متخذا قرارات مفيدة و إجراءات عملية للاحتفاظ بها كلما شعر بخطر الزوال و الهبوط يهدّد العلوم و اللغات الشرقية في الهند (٢٣)

اصلاح المجتمع :

كانت قضية إصلاح المجتمع من تلك القضايا الخاصة الهامة التى اعتبرها زعماء المسلمين جديرة بالاهتمام الفورى بعد ١٨٥٧م. فقد كانت الحياة الاجتماعية و الثقافية للمسلمين قد تعطلت بسبب ما كان قد راج و ساد بينهم من الأفكار و العقائد الباطلة و الأعمال الفاسدة و التقاليد الوهمية المدمرة، كما أن نهاية النظام الاقطاعي القديم خلقت قضايا اقتصادية جديدة للمسلمين في جانب آخر أيضا. و الأمر الذى زاد الطين بلّة هو أن المسلمين ظلّوا في غفلة عن كل هذه القضايا و حلها و استمروا في التبذير و الاسراف يجرّون لانفسهم مزيداً من البلاء و الشقاء و جديدا من القضايا و المشكلات (٢٤) . و بما أن الجهل كان السبب الرئيسي لهذه الأمراض الاجتماعية، لم يكن من الممكن النجاح في أى مجال من مجالي التعليم و إصلاح المجتمع بدون أن يبدأ العمل للإثنين معا.

و بعد سنتين فقط لإنشائه ، أعلن المؤتمر حربا ضد التقاليد الفاسدة الرائجة في مجتمع المسلمين و صرّح بأن تعليم اليتامى يستحق أكثر من أىّ شيء آخر أن تنفق عليه أموال الزكاة (٢٥) . كما أنه أسّس فرعا مستقلا له بهدف إصلاح المجتمع في ١٩٠١م و أعد رسائل و بحوثا علمية متصلة بالموضوع و نشرها فيما بين عامة المسلمين (٢٦) . و اختير الخواجه غلام الثقلين أمينا عاما لهذه اللجنة المنبثقة من المؤتمر، فنفخ فيها روحا بفضل ما كان يوجد لديه من علم و فضل و ما كان يتمتع بـــه قلبــه من نصح و تعاطف تجـــاه المسلمين. و كان الناس يستمعون بآذان صاغية و باهتمام بالغ إلى أحاديثه و خطبه في الاجتماعات و التي كانت تترك في نفوسهم تأثيرا قويا و عميقا.

و أصدر الخواجه غلام الثقلين مجلة باسم *"العصر الجديد"* في ١٩٠٣م ، في محاولة للاجتثاث من الجذور تلك العقائد و الأفكار الخاطئة الفاسدة التي كانت قد رسخت في أذهان عامة المسلمين ، إلاّ أن المنية اختطفته و حل محله أمينا للجنة المولانا طفيل أحمد المنغلورى ، الذي ظلّ يعمل لإصلاح المجتمع طوال حياته من خلال جهوده المضنية و مجلته العلمية الأردية التي أصدرهـــا باســـم "سود مند" (٢٧).

و اتخذ المؤتمر قرارات عديدة في الاجتماعات المختلفة بهدف تحسين الوضع الاقتصادى للمسلمين و حثّهم على الانفاق على تعليم الأبناء و البنات بدلا من الاســراف في التقاليـــد الواهيـــة الفاسدة فـــى مناسبات الفـــرح و الحزن (٢٨).

إلى جانب القيام بهذه الأعمال التقدمية، فقد ظلّ المؤتمر يهتمّ بإدخال الإصلاحات و التعديلات على اللغة الأرديـــة أيضـــا، سعياً وراء تطويــرهـــا و تسهيلها، و يدل على ذلك بوضوح ذلك القرار الذى اتخذه المؤتمر في الاجتماع السنوى لعام ١٨٩٠م ، و الذى جاء فيه :

> *"إن اللغـة الأرديـة تنقصها البحـوث و المقالات المتصلـة بالأخلاق و الخالية من الأسلوب الشرقى المعقد و المقلق، و المفيـدة للطلاب و المهذبة فى اعتدال العواطف البشرية الجياشة ، و نظرا للأهمية و الحاجة ، يجب أن يتم اعداد مثل هذه البحوث ليطبعهـا المؤتمر و ينشرها فيما بين المسلمين ". (٢٩)*

و بما أن الأفكار الخاطئة و العقائد الفاسدة كانت قد رسخت فى أذهان عامة المسلمين السذج ، الذين كانوا قد اعتبروها من الدين بسبب جهلهم، فان المؤتمر حاول من خلال النشرات و الاجتماعات أن يخلق لدى الناس وعياً بأن تلك الأفكار و العقائد ليست فاسدة من الناحية الخلقية و الثقافية فحسب، بل هى معارضة للشريعة الاسلامية أيضا (٣٠).

و حينما شكل المؤتمر لجنة مستقلة لإصلاح المجتمع، فانه جعل الأمور التالية هدفا له : (٣١)

١ ـ الامتناع من تناول كافة أنواع المخدرات و المسكرات.
٢ ـ تجنب الإسراف فى الإنفاق بمناسبات الفرح و الألم.
٣ ـ الامتناع من تزويج الأبناء و البنات فى سن الطفولة و عن غير رضاهم.
٤ ـ منع البنات الصغيرات السن من استخدام الحلي.
٥ ـ عدم اعطاء أيّ شئ للمتسوّلين الأقوياء من ذوى الصحة الموفورة.
٦ ـ الامتناع من التبذير الذى جاءت به الأساليب الحديثة العصرية للحياة.
٧ ـ ابتعاد جميع أعضاء لجنة إصلاح المجتمع عن التعطل.

و لم تقتصر النشاطات الإصلاحية للمؤتمر على القضاء على التقاليد التبذيرية غير الاسلاميـة الرائجـة فى مناسبات الفـرح و الألم فحسب، بل و تجاوزتها إلى المؤسسات التى كانت تهدف إلى الإصلاح . فقد أولى المؤتمر اهتمامه للسجون أيضا و طالب من الحكومة اتخاذ الإجراءات اللازمة لإصلاح من يعيش فيها من المسجونين المجرمين ، محاولة لإبعادهم عـن الجرائم و الآثام و تعويدهم على الحياة الاجتماعية الصالحة . (٣٢)

الخدمات الثقافية :

يراد بالثقافة ذلك الجزء للحضارة الذى يتصل باللغـة و الآداب و العلوم و الفنون ، و لاشك فى كون اللغة وسيلة لانتشار و ذيوع كل من الآداب و العلوم و الأفكار الاصلاحية و الآراء الدينية. و العهد الذى نتحدث عنه هنا كانت اللغة فى الهند قد أحدثت فيه أزمة خطيرة و مشكلة معقدة . فبينما كانت للحكومة لغة، كانت للرعايا من الهنود لغة أخرى ، الأمر الذى كان يؤدى إلى حدوث نوع من الفوضى و الاضطراب فى المجتمع. (٣٣)

أما اللغة الأردية ، فإنها لم تكن لغة للمسلمين فحسب ، بل كانت أيضا

لغة لعدد كبير من الناس المثقفين المتمدنين، على رغم اقتصارها في ذلك الزمان على المجالس و السهرات الأدبية و على بلاط الأمراء و الأغنياء. و لذلك، فقد كانت الحاجة شديدة إلى استخدام اللغة الأردية في مجالات التنمية و الازدهار. و اتخذ المؤتمر في هذا الصدد نفس الموقف الذي اتخذه السير سيد أحمد خان تجاه الأردية، الذي يؤكّد على ضرورة كونها سهلة مستساغة مؤثرة و قد نشأت طبقة من الأدباء و الكتاب حاملة لهذا الاتجاه للسير أحمد خان، كان في طليعتها الأمير محسن الملك، و المولوي نذير أحمد، و المولانا حالي، و المولانا شبلي و المولوي ذكاء الله و المولانا وحيد الدين سليم. و استمر المؤتمر في نشاط و حماس دائمين يخدم اللغة الأردية و يعمل على تطويرها. و تشهد على ذلك تلك القرارات التي اتخذها المؤتمر في هذا الصدد خلال اجتماعاته السنوية. و أنشأ المؤتمر في ١٩٠٣م جميعة خاصة لتطوير اللغة الأردية و ترويجها، أصبحت ذائعة الصيت فيما بعد و تمتعت بمكانة بارزة متميزة جداً بفضل الجهود الجبّارة لرئيسها العالم و البحاثة عبد الحق الذي كان يعرف حقا بأبي اللغة الأردية (٣٤).

و استمر المؤتمر في سيره الدؤوب في خدمة اللغة الأردية و تطويرها من خلال إعداد الكتب و الرسائل و المجلات فيها و نشرها، و اعتنى باعداد و نشر كتب عن السير و التاريخ أيضا من قبل مكتبته إلى جانب إيلاء اهتمامه لطبع مجموعة من الخطب و المقالات للأعلام و لإدخال الإصلاحات على الصحافة و الإعلام، نظراً لما يتمتعان به من تأثير قوي على الناس و توجيههم و صياغة أفكارهم و آرائهم. و أصدر المؤتمر كذلك جريدة أسبوعية باسم "جريدة المؤتمر" و أنشأ قسماً مستقلاً له بمناسبة المهرجان الذهبي له باسم مؤتمر للصحافة الأردية، سعياً وراء الإصلاح و التشكيل الجديد لها(٣٥)، و تم كذلك تأسيس اتحاد مستقل خاص للصحفيين للعمل في هذا المجال تحت رئاسة المنشي ديا نرائن سنغم، رئيس تحرير مجلة "*زمانه*" و جريدة "*أخبار اردو*" الصادرتين في كانفور، ربّما كان أول اتحاد للصحفيين و الكُتّاب باللغة الأردية، يعود فضل إنشائه إلى المؤتمر. و لذلك، فاننا نستطيع أن نقول و بإيجاز شديد أن كل ما تولّد من وعي و شعور و اهتمام تجاه اللغة الأردية و آدابها في الهند لم تكن إلاّ ثمرة طيبة لجهود المؤتمر المشكورة الجبّارة المبذولة في هذا المجال.

الأمور الاقتصادية :

كان الهدف الأساسي من وراء إنشاء المؤتمر الاهتمام باصلاح أوضاع المسلمين و تعليمهم و تنميتهم، و لا شك أن لكل من التعليم و الإصلاح الاجتماعي علاقة بالشئون الاقتصادية، و قد ركزّ المؤتمر في مجال الاقتصاد عنايته على أمرين : إجراء المنح التعليمية و قضية الأوقاف.

المنح التعليمية :

بما أن الوضع الاقتصادى للمسلمين كان سيّئا جدّاً و لم يكن بوسع الأغلبية منهم تحمّل نفقة تعليم أبنائهم و بناتهم، فإن الحاجة كانت شديدة جدا لأن ينهض الأغنياء منهم و يقوموا بتقديم المنح الدراسية للطلاب المتفوقين الأذكياء. و شعوراً بهذه الحاجة أكدّ المؤتمر على ضرورة إجراء المنح التعليمية للطلاب المسلمين الذين يستحقونها فى الاجتماع السنوى له لعام ١٨٨٧م (٣٦) و تقدم فى الاجتماع السنوى القادم لعام ١٨٨٨م بتوصية إلى الحكومة حول إعفاء الطلاب من أبناء المسلمين الفقراء و المتخلفين اقتصادياً من الرسوم التعليمية (٣٧) ، و فى ١٨٩٦م تمت الموافقة على اقتراح للمؤتمر كان مفاده أن تحاول اللجنات التى تم إنشاؤها بهدف إجراء المنح التعليمية ، لجمع التبرّعات و إعطاء نحو عشر روبيات لطالب مسلم يدرس فى الكلية أو يرغب فى الدراسة فيها مساعدة له في دراسته ، (٣٨) و قد تمتع هذا الإقتراح بتأييد و استحسان المشاركين في الإجتماع السنوى لعام ١٨٩٩م ، و الذى تم فيه اتخاذ قرار حول تقديم المنح التعليمية خاصة للطلاب الفقراء الراغبين للذهاب إلى خارج البلاد بهدف الدراسات العليا في المجالات الصناعية و التكنولوجية (٣٩) كما أن المؤتمر طلب من أعضائه و منسوبيه بذل الجهود لجمع التبرعات حيثما يذهبون للإنفاق على شراء الكتب الدراسية للطلاب الفقراء ، و دفع رسومهم التعليمية (٤٠) و من خلال إلقاء نظرة على تقارير الإجتماعات السنوية للمؤتمر المنعقدة فى لاهور و كراتشى و سورت و رنغون و لكناؤ و داكا نستطيع التعرف على تلك القرارات التي أكّد المؤتمر بها و شدّد على ضرورة إجراء المنح التعليمية للطلاب المسلمين.

قضية الأوقاف:

من الأعمال المحمودة التى قام بها المسلمون الأغنياء فى الماضى و التى مازال المسلمون يتمتعون بثمارها الطيبة إلى الآن هو القيام بوقف أراضيهم و ممتلكاتهم فى سبيل الله و خير الأمة . و توجد في الهند اليوم من الأراضى و الممتلكات الموقوفة مايتم بفضلها مساعدة الفقراء و المساكين و اليتامى و بناء المساجد و رعايتها و الإهتمام بالعلوم الدينية و تطويرها. إن الذين وقفوا ممتلكاتهم فى سبيل الله و خير الأمة كانوا حسن النيات و نالوا جزاءهم عند الرب العلى القديم الذى لا يضيع أجر المحسنين ، و لكن الذين خلفوهم و تولوا أمور الأوقاف بعدهم أصيبوا و للأسف الشديد بمرض فساد النية و حب الذات و المال ، فأخذوا يستخدمونها على خلاف رغبات الواقفين و نياتهم ، لتحقيق مآربهم الذاتية و مصالحهم الشخصية ، الامر الذى دفع المؤتمر لاسترعاء لفت المسلمين إلى هذا الوضع السيئ للأوقاف فى إجتماعاته السنوية فى ١٨٩٩م و ١٩٠٣م و ١٩١٣م و ١٩٢٢م و ١٩٢٨م (٤١) من خلال قرارات اتخذتها فى هذا الصدد ، مؤكدة على ضرورة صرف مكاسبها فى سبيل الله و على نشر التعليم أيضاً فيما بين عامة المسلمين.

الملحقات

الملحق الأول

نظرة على الإجتماعات السنوية للمؤتمر التعليمي الإسلامي لعموم الهند

رقم	عام الاجتماع السنوي	المدينة التي انعقد فيها الاجتماع	رئيس الاجتماع
١	١٨٨٦م	عليجره	المولوي محمّد سميع الله
٢	١٨٨٧م	لكناؤ	المحامي محمّد امتياز علي العلوي
٣	١٨٨٨م	لاهور	السردار محمّد حيات خان
٤	١٨٨٩م	عليجره	السردار محمّد حيات خان
٥	١٨٩٠م	إله أباد	السردار محمّد حيات خان
٦	١٨٩١م	عليجره	الأمير محمّد اسحاق خان
٧	١٨٩٢م	دلهي	المولوي محمّد حشمت الله خان
٨	١٨٩٣م	عليجره	الأمير محسن الملك مهدي علي خان
٩	١٨٩٤م	عليجره	المحامي محمّد شاه دين
١٠	١٨٩٥م	شاه جهان فور	الأمير محسن الملك مهدي علي خان
١١	١٨٩٦م	ميرت	الأمير عمادالملك سيّدحسين البلغرامي
١٢	١٨٩٨م	لاهور	الأمير فتح علي خان القزلباش
١٣	١٨٩٩م	كلكتا	القاضي سيّد أمير علي
١٤	١٩٠٠م	رام فور	الأميرعمادالملك سيّدحسين البلغرامي
١٥	١٩٠١م	مدراس	القاضي بيدوم
١٦	١٩٠٢م	دلهي	السير آغا خان
١٧	١٩٠٣م	بومباي	القاضي بدر الدين طيّب جي
١٨	١٩٠٤م	لكناؤ	تهيو دورماريسون
١٩	١٩٠٥م	عليجره	الخليفة سيّد محمّد حسين
٢٠	١٩٠٦م	داكا	القاضي سيّد شرف الدين
٢١	١٩٠٧م	كراتشي	المولانا ألطاف حسين حالي

٢٢	١٩٠٨م	أمريتسار	الأمير السير خواجه سليم الله
٢٣	١٩٠٩م	رانغون	المهاراجا على محمّد خان أميرمحمود اباد
٢٤	١٩١٠م	ناغ فور	عبدالله يوسف على
٢٥	١٩١١م	دلهى	الأمير عمادالملك
٢٦	١٩١٢م	لكناؤ	الجنرال السيد حسن البلغرامى
٢٧	١٩١٣م	اغره	القاضى شاه دين
٢٨	١٩١٤م	راولفندى	السير المولوى رحيم شاه
٢٩	١٩١٥م	بونا	القاضى عبدالرحيم
٣٠	١٩١٦م	عليجره	الميان محمّد شفيع
٣١	١٩١٧م	كلكتا	السيد محمّد اكبر نذرعلى الحيدرى
٣٢	١٩١٨م	سورت	إبراهيم رحمت الله
٣٣	١٩١٩م	خير فور استيت	السير المولوى رحيم بخش
٣٤	١٩٢٠م	أمراؤتى	إبراهيم هارون جعفر
٣٥	١٩٢٢م	عليجره	ميان أفضل حسين خان
٣٦	١٩٢٣م	عليجره	السير أفتاب أحمد خان
٣٧	١٩٢٤م	بومباى	إبراهيم رحمت الله
٣٨	١٩٢٥م	عليجره	الأمير عبدالقيوم
٣٩	١٩٢٦م	دلهى	القاضى عبدالرحيم
٤٠	١٩٢٧م	مدراس	السير شيخ عبدالقادر
٤١	١٩٢٨م	أجمير	القاضى السير شاه محمّد سليمان
٤٢	١٩٣٠م	بنارس	السير راس مسعود
٤٣	١٩٣١م	روهتك	سيد رضا على
٤٤	١٩٣٣م	لاهور	اللواء مقبول حسين القريش
٤٥	١٩٣٤م	ميرت	القاضى السير عبدالقادر
٤٦	١٩٣٥م	أغره	الدكتور السير ضياءالدين أحمد
٤٧	١٩٣٦م	رام فور	السير اغا خان
٤٨	١٩٣٧م	عليجره	الأمير س عبدالحكيم

٤٩	١٩٣٨م	بتنا	المولوي أبو القاسم فضل حق
٥٠	١٩٣٩م	كلكتا	الأمير كمال يار جنغ
٥١	١٩٤٠م	بونا	المولوي فضل حق
٥٢	١٩٤٣م	عليجره	المولوي ظهير يار جنغ
٥٣	١٩٤٤م	جبل فور	المبير عزيز الحق
٥٤	١٩٤٥م	أغره	الأمير لياقت علي خان
٥٥	١٩٥٢م	عليجره	الدكتور ذاكر حسين خان
٥٦	١٩٥٥م	مدراس	الدكتور ذاكر حسين خان

الملحق الثاني

نظرة على الولايات التي انعقدت فيها الاجتماعات السنوية للمؤتمر

رقم	الولاية	عدد الاجتماعات	أسماء المدن التي انعقدت فيها الاجتماعات بالولاية
١	اترابراديش	٢٦	عليجره ، (٣) ، لكناؤ (٣) إله أباد (١) ، شاه جهانفور (١) ، ميرت (٢) ، رامفور (٢) ، أغره (٢) ، بنارس (١)
٢	مهاراشترا	٦	بومباني (٢) ، بونا (٢) ، أمراوتي (١) ، ناغ فور (١)
٣	دلهي	٤	دلهي (٤)
٤	بنجاب (باكستان)	٤	لاهور (٣) ، راولفندي (١)
٥	بنغال الغربية	٢	كلكتا (٢)
٦	تامل نادو	٣	مدراس (٣)
٧	سندهـ (باكستان)	٢	كراتشي (١) ، خيرفور (١)
٨	بنجاب	١	أمريتسار (١)
٩	هريانا	١	روهتاك
١٠	مدهيابراديش	١	جبل فور
١١	غجرات	١	سورت (١)
١٢	راجستهان	١	أجمير (١)

١٣	بيهار	١	بتنا
١٤	بنجلاديش	١	داكا
١٥	بورما	١	رنغون

الملحق الثالث

الأمناء الفخريون للمؤتمر		
١	السير سيّد أحمد خان	منذ عام ١٨٨٦م إلى ١٨٩٨م
٢	الأمير محسن الملك مهدى على خان	منذ عام ١٨٩٨م إلى ١٩٠٨م
٣	الأمير وقار الملك مشتاق حسين خان	منذ عام ١٩٠٩م إلى ١٩١٢م
٤	الأمير محمّد اسحاق خان	منذ عام ١٩١٢م إلى ١٩١٩م
٥	سيّد محمّد علي	منذ عام ١٩١٩م إلى ١٩٢٠م
٦	الأمير حبيب الرحمن خان الشيرواني	منذ عام ١٩٢٠م إلى ١٩٤٩م
٧	الأمير عبيدالرحمن خان الشيرواني	منذ عام ١٩٤٩م إلى ١٩٥٨م
٨	سيّد محمّد تونكى	منذ ديسمبر ١٩٥٨م إلى مارس ١٩٥٩م (نيابة)
٩	السيّد محمّد عمار أحمد خان	منذ عام ١٩٥٩م إلى ١٩٦٤م
١٠	البروفسور أنوار الحق حقّى	منذ عام ١٩٦٤م إلى ١٩٧٠م
١١	الأمير عبيدالرحمن خان الشيرواني	منذ عام ١٩٧٠م إلى الآن

الملحق الرابع

الأقسام المختلفة التابعة للمؤتمر و رؤساؤها لدى المهرجان الذهبي لها

رقم	الأقســــام	الرؤســـا
١	قسم الإصلاح الاقتصادى و الاجتماعى	البروفسور محمّد إلياس برنى
٢	قسم شئون المرأة	الشيخ محمّد عبدالله
٣	قسم التعليم الابتدائى و المدارس الأردية	سيّد آل نقوى خان
٤	قسم التعليم الثانوى	الدكتور ذاكر حسين
٥	قسم التعليم العالى	عبدالله يوسف على

٦	قسم التعليم الفنّي	السيّد أ . ج . خان
٧	قسم تعليم الكبار	المولوى سيّد طفيل أحمد المنغلورى
٨	قسم المدارس الإسلامية	الشيخ حسين أحمد المدنى
٩	قسم العلوم و الدراسات الإسلامية	العلامة سيّد سليمان الندوى
١٠.	قسم تطوير اللغة الأردية و ترويجها	المولوى عبدالحق
١١	قسم الصحافة الأردية	المولوى بشير الدين رئيس تحرير "البشير" الصادرة فى ايتاوه و الكاتب بيا نراش نغم، رئيس تحرير جريدتى "زمانه" و "آزاد" الصادرتين فى كانفور.

وللبحث صلة ...

تعريب : خالد القاسمي

الهوامش :

١ - محضر أعمال الاجتماع العادى عشر لعام ١٨٩٦م . ص . ١٢٨

٢ - محضر أعمال الاجتماع الثانى عشر لعام ١٨٩٨، ص ٢٧٣ و ٢٧٤

٣ - محضر أعمال الاجتماع العشرين للمؤتمر ، لعام ١٩٠٦م . ص ١٤٦

٤ - تاريخ المؤتمر لأنوار أحمد المارهروى ، ص ١٩ - ٢٠

٥ - نفس المصدر ، ص ٢٠

٦ - نفس المصدر

٧ - نفس المصدر

٨ - نفس المصدر

٩ - راجع للتفصيل كتاب شيخ الهند مولانا محمود الحسن ، حياته و أعماله (باللغة الاردية) للأستاذ اقبال حسن خان، طبع عليكراه، عام ١٩٧٣م

١٠ - محضر أعمال الاجتماع الثامن عشر للمؤتمر لعام ١٩٠٤م ، ص : ٣١

١١ - محضر أعمال الاجتماع الرابع و الأربعين للمؤتمر فى عام ١٩٢٣م ، ص ٧٣

١٢ - تاريخ المؤتمر لأنوار أحمد المارهروى ، ص ٢٨

١٣ - رحلة إلى لندن للسير سيد أحمد خان ، ص ١٨٩

١٤ - محضر أعمال الاجتماع السنوى الخمسين للمؤتمر لعام ١٨٨٨م ، ص : ١١٠

١٥ - محضر أعمال الاجتماع السادس المؤتمر المنعقد فى ١٨٩١م ، ص : ٧٩

١٦ - محضر أعمال الاجتماع الثالث عشر لعام ١٨٩٩م ، ص ١٠٥ ، ١٠٦

١٧ ـ تاريخ المؤتمر للمارهروى ، ص : ٢١
١٨ ـ محضر أعمال الاجتماع الخامس لعام ١٨٩٠م ، ص ١٠٢٠
١٩ ـ محضر أعمال الاجتماع الثامن عشر لعام ١٩٠٤م ، ص ١ ـ ٢
٢٠ ـ محضر أعمال الاجتماع السابع و الثلاثين لعام ١٩٢٤ ، ص ٥٦
٢١ ـ محضر أعمال الاجتماع السابع لعام ١٨٩٢م ، ص ١٤٣٠
٢٢ ـ محضر أعمال الاجتماع الأربعين لعام ١٩٢٧م ، ص ١٠٩
٢٣ ـ محضر أعمال الاجتماع الواحد و الثلاثين لعام ١٩١٧م ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠
٢٤ ـ السير سيد أحمد خان لـ خليق أحمد النظامي ، ص ٩٢ ، طبع دلهي ، عام ١٩٦٦م
٢٥ ـ محضر أعمال الاجتماع الثالث لعام ١٨٨٨م ، ص ١٠٢
٢٦ ـ تاريخ المؤتمر لأنوار أحمد المارهروى ، ص ٢٥٠
٢٧ ـ نفس المصدر
٢٨ ـ نفس المصدر السابق
٢٩ ـ محضر أعمال الاجتماع الثالث لعام ١٨٨٨م ، ص ٧٠
٣٠ ـ محضر أعمال الاجتماع الخامس لعام ١٨٩٠م ، ص ٨٩
٣١ ـ محضر أعمال الاجتماع الخامس عشر لعام ١٩٠١م ، ص ١٦٦٠
٣٢ ـ محضر أعمال الاجتماع السابع عشر لعام ١٩٠٣م، ص : ١٩٥ و ٢٠٥
٣٣ ـ محضر أعمال الاجتماع الرابع و العشرين لعام ١٩١٠م ، ص ٣٠٠
٣٤ ـ حيات جاويد للخواجه ألطاف حسين حالى ، ص ١٢٢ ـ ١٢٤ ، طبع دلهي في عام ١٩٣٩م
٣٥ ـ للتفصيل راجع الملحق
٣٦ ـ محضر أعمال الاجتماع الذى عقد بمناسبة مرور خمسين عاما على إنشاء المؤتمر ص ٤٥
٣٧ ـ محضر أعمال الاجتماع الثاني لعام ١٨٨٧م ، ص ٥٤
٣٨ ـ محضر أعمال الاجتماع الثالث ، ص ٧٧
٣٩ ـ محضر أعمال الاجتماع العادى عشر لعام ١٨٩٦م ، ص ١١٢٠
٤٠ ـ تاريخ المؤتمر لأنوار أحمد المارهروى ، ص : ٢٩
٤١ ـ محضر أعمال الاجتماع الثالث ، ص ٦٠

قصة قصيرة:

قيـنــة الشــاه

بقلم : أمريتا بويتم

لم يكن يدعوها أحد الآن "نيلم" (لازوردي) بل كلهم كانوا يقولونهـا "قينة الشاه". كانت نيلم قد بلغت إلى عنفوان شبابها في سوق المجوهرات الرئيسي في لاهور. و قد تمت إزالة حجابها علي يد ثري كبير في الإقليم مقابل خمسة آلاف روبية. و هنا كان جمالها قد أشعل النار في المنطقة حتى أحرقت المدينة كلها. و لكنها انتقلت يوما تاركة سوق المجوهرات الرئيسي لتقيم في أفخم فندق هناك.

كانت المدينة هي هي. و لكن يظهر أنها قد نسيت إسمها فجاة فكان كل واحد يدعوها "قينة الشاه".

كان غناءها مدهشا. فلم يكن أحد يستطيع أن يضارعها في ذلك. لذلك نسي الناس إسمها و لم ينسوا صوتها. فمن كان في المدينة يملك جراموفون ، كانت لديه اسطوانات مسجلة بصوتها ليستمع إلى أغانيها.

لم يعد ذلك خافيا على أحد. حتى أهل بيت الشاه أيضا كانوا على معرفة تامة بذلك ، أن ابن الشاه الكبير الذي بلغ الآن سّن الزواج ، لما كان طفلا رضيعا كانت زوجته قد هددت بالانتحار بتناول السم. و لكن الشاه قال لها و هو يقلدها قلادة الدّرر :

" إنها ستكون نعمة لبيتك يوما. إن عيوني ليست إلا مثل عيون الجوهري. أ لم تسمعي أن نيلم شيء يجعل مئات الألوف من الناس معوزين ، و المعوزين مليونير حسب حظهم السعيد و السيء. إنها ياقوت قد وجدناها بمحض حظنا. فمنذ اليوم الذي وجدناها نكسب ثروات طائلة. فكل شيء نتناولها بأيدينا ، يتحول فجاة إلى الذهب."

" لكنها سوف تخرّب بيتنا كما خرّبت بيوت الآلاف " أجابت زوجته بلهجة جافة و ممتعضة.

" صحيح ، فانني أيضا خائف جدا. لذلك لا أعتمد على هذه المغنيات. فقد تخدعنا هي يوما. إلا أنها لو ضاعت من أيدينا ، سوف يتحول كل شيء إلى التراب ". قال الشاه مرة أخرى.

لم يكن لدى زوجته دليل آخر. فكل شيء كان متوقفا على الوقت. و كان الوقت ساكتا منذ سنوات. حقيقة كلما كان الشاه يصرف من ماله عليها ، كانت تتدفق إلى بيته أضعاف مضاعفة منها. فكان يملك دكانا صغيرا في سوق صغير قبل ذلك. و الآن هو صاحب محل كبير للسلع الثمينة في أكبر سوق في المدينة. و إضافة إلى ذلك كان الحي كله ملكا له. فكان يسكن فيه الناس المستأجرون من ذوي الجاه و المال. و لم تكن تترك زوجته الغرفة الكائنة تحت مستوى الأرض في منزلها.

مرت سنوات عديدة. لما قالت له زوجته يوما و هي تقفل الصندوق الحديدي : " عليك أن تتركها في الفندق أو تبني لها التاج محل. على أي حال ضع آفة الخارج في الخارج. و لا تحضرها إلى بيتي. فانني لن أنحني أمامها."

حقيقة لم تنظر زوجته وجه القينة حتى الآن. و لما قالت هذا الكلام كان ابنها يتعلم في المدرسة و الآن هو صالح للزواج ، و لكن لم تسمح زوجته لأحد لا بإحضار أسطواناتها إلى بيتها و لا بذكر إسمها ، إلا أن أبناءها كانوا قد سمعوا أغانيها في دكاكين عديدة و سمعوا إسمها من أفواه متعددة.

كانت هناك استعدادات لزواج الإبن الكبير. فكان الخياطون مشغولين منذ أربعة شهور في بيت الشاه. فواحد يوشي الحلية. و الثاني يطرّز الخمار و الثالث الملابس الأخرى. و كانت يد زوجة الشاه مملوءة بالمال. فتخرج كيس الروبيات و تفتحه ثم تذهب به إلى خزينتها لتملأه مرة أخرى.

أصرّ أصدقاء الشاه و أترابه على أن تغني القينة في هذه المناسبة. إلاّ أنهم اختاروا أسلوبا لا يزعج الشاه ، فقالوا إن لديك مغنيات و راقصات عديدة ، أدع أية واحدة منهن. و لكن لابد أن تأتي ملكة الغناء في هذه المناسبة و تغني في الحفل و لو أغنية واحدة.

لم يكن الفندق الذي فيه القينة مثل الفنادق العامة الأخرى. فكان معظم النزلاء هناك من الإنجليز. و كانت فيه شقق ذات حجرة و حجرتين و ثلاث حجرات. و كانت القينة تسكن في شقة من حجرات. كان في نية الشاه أن يأخذ أترابه و أخدانه يوما ليقيم عندها حفلة الغناء.

لكن قال له أترابه : " أما الذهاب إلى ذلك المكان في الفندق، فانه من حقك فقط. هل قلنا لك هذا قبل ذلك طوال هذه المـــدة الطويلـــة ...؟ فنحـــن لا نريد أن نعرف إسم ذلك المكان لأنه يختص بك. إنما نريد أن تزداد بهجة الاحتفال بعقد زواج ابن عمّنا. فادعها إلى بيتك و بيت زوجة أخينا مثل عادة رجال العائلات."

استحسن الشاه هذا الكلام. لأنه لم يكن يريد أن يرى أترابه الطريق إلى تيلم. مع أنه قد بلغه أن بعض أبناء الأثرياء بدأوا يتوجهون إلى سكنهـا. و أيضا إنه كان يريد أن تشاهد نيلم فخامة بيته و روعته. إلا أنه كان يخشى من زوجته فلم يقل "حسنا" أمام أترابه.

تجرأ إثنان من أترابه على الذهاب إلى زوجته و قالوا لها : " ألا تقيمين يا سيدتي حفلة غنائيـة بمناسبـة زواج ابنك ...؟ نحن قد عزمنا على أن نكمل كل أفراحنا. و قد قرر الشاه أيضا على إقامة حفلة غنائية ليلة تحييها نيلم.

الكلام معقول. قالت زوجة الشاه لكن إنها قد خرّبت بيوت الآلاف ... !

لكن البيت بيتك. ألم تأخذ نيلم منكم أموالا طائلة. كوني عاقلة. استدعيها ليوم واحد فقط لنطرب و سوف تتم الأفراح بمناسبة زواج الإبن ، و لا يضيع المال أيضا.

رفضت زوجة الشاه في أول الأمـر و قالت و هي تمتعـض و تغضـب : " لا أريد أن أنحني أمام تلك الدنيئة. فهدّأها الآخرون بقولهم. أنت هنا صاحبة الأمر و النهي. و إنها سوف تأتي مثل الجارية و تكون تحت أمرك و تزيد الأفراح بمناسبة زواج إبنك. و تأتي هنا كما يأتي الخدام الآخرون."

أعجبت السيدة بهذا الكلام المعسول. و فضلا عن هذا كانت هي أيضا تشتاق إلى رؤيتها مرة لتعرف كيف هي. فانها لم ترها أبدا فلو رأت قينة جالسة في عربة تمر بالمدينة تحسب أنها هي.

فينبغي أن أراها أيضا مرة. قررت في نفسها. إنها قد أضرّت بي فعلا ما كانت تستطيع الإضرار. فماذا تفعل أكثر من ذلك. فلأرى مرة تلك الملعونة.

وافقت زوجة الشاه على شرط ألا يكون هناك شراب و لا كباب. بل يكون الغناء فقط و تغني كما تغني في بيوت الناس الطيبين. و نسمح لكم الرجال أيضا بالجلوس. فلتأت هي و تغني أغـاني نظيفـة و تذهب من هنـا ، و أنا سوف أعطيها نفس البقشيش كما أعطيها لغيرها من الفتيات المغنيات لأغاني فرحة الزواج.

هذا ما نريده نحن أيضا يا سيدتي. تملق الأصدقاء و قالوا : " ليس البيت إلاّ رهنا لحسن نظامك. و إلا ماذا سيحدث ، لا يعلمه أحد."

حضرت القينة و كانت زوجة الشاه قد بعثت لها مركبا يجره حصان. كان البيت مكتظا بالضيوف. و كانت الغرفات مفروشـة بالأرديـة البيضـاء و في وسطها "طبل". بدأت النساء يغنين أنشودة تهنئة العريس. وقفت العربة أمام باب البيت فنحت بعض النساء إلى نواح مختلفة.

" لماذا تتوقفين عن الغناء. صاحت السيدة ... ! لكن كان صوتها خفيفا. كان بمجيئتها وقع على قلبها.

صعدت القينة على السلالم حتى وصلت إلى الباب. و عندما أرادت زوجة الشاه أن تنظر إليها أمسكت بطرف ساريها الوردية اللون. كأنها تستعين بساريها في هذه اللمحة. كانت القينـة في حلة حريرية مزركشـة خضـراء. و كان اللون الأخضر يعكس عكسا خفيفا على كل شيء حتى بدا لزوجة الشاه

أن اللون الأخضر قد انتشر في كل مكان.

رنّت الأسورة الزجاجية خضراء اللون. رأت زوجة الشاه أن يدا شقراء جميلة تمس جبينها منحنية لتسلم عليها ثم صاحبته صوت رقيق: " مبروك يا سيدتي ... مبروك جدا ".

كانت جميلة فاتنة ، ناعمة الملمس ، لطيفة الجسم. فلما أشارت إليها بان تجلس متكئة على وسادة الجلوس. بدت لها أن عضلة يدها غير وسيمة.

كان الشاه أيضا جالسا في ناحية من الحجرة مع أترابه و بعض أقاربه. فرأت تلك الحسناء إلى تلك الناحية أيضا و سلمت مرة أخرى. ثم جلست متدللة و هي تستند إلى الوسادة. رنّت الأسورة الزجاجية مرة أخرى عند جلوسها. فرأت زوجة الشاه مرة أخرى إلى ذراعيها و أسورتها الزجاجية الخضراء. ثم أخذت تنظر إلى أسورة يدها الذهبية.

بهرت العيون كل الناظرين. بدأ كل واحد ينظر إلى ناحية واحدة حتى عيون زوجة الشاه أيضا. و لكنها امتعضت و غضبت على كل العيون ماعدا عينيها.

ثم أرادت أن تقول مرة أخرى للفتيـات للاستمـرار في أغنيــة الزواج و لكن صوتها احتبس في حلقومها و لعل أصوات الآخرين أيضا قد احتبست في الحلقوم. فساد الصمت في الحجرة بدأت القينة تنظر إلى الطبل الموضوع في وسط الغرفة. و أرادت أن تضربه بشدة. فقطعت الصمت من ساد الصمت بسببها. فقالت أنا أغني قبل كل واحد أغنية الزواج. و أهنيء الولد. ما رأيك يا سيدتي ...؟ ثم رأت إلى زوجة الشاه و بدأت تغني أغنية الزواج باسمة :

" مبروك للأم السعيدة. في هذا الموسم الجميل البهيج الذي تتساقط فيه قطرات المطر لتهنيء الأم ، الزوجة السعيدة و زوجها."

إطمأنت زوجة الشاه فجاة. لأنها كانت هي الأم الوحيدة بين المستمعين و زوجها أيضا كان لها فقط. جلست الأم أمام من كانت تغني أغنية التهنئة للولد.

فلما انتهت الأغنية ، عاد التكلم مرة أخرى إلى الغرفة. و طلبت النساء أغنية .... و الرجال طلبوا أغنية أخرى ..

لم تنتبه القينة إلى طلب الرجال كأنها لم تسمعه. و جذبت الطبل إليها و ألصقته بركبتها. تشجعت زوجة الشاه على ذلك. لأن المغنية استجابت لطلب النساء أولا بدلا من أن تستجيب لطلب الرجال. ما كانت هناك تعرف بعض النساء بين الضيوف من هي. فهمست واحدة. إنها هي قينة الشاه. كان جواب الإمرأة بصوت خفيف جدا. مثل الهمس. و لكن مع ذلك اصطدم صوتها بأذن زوجة الشاه ، " قينة الشاه " ، " قينة الشاه ". فتغير لون وجهها.

أثناء ذلك ارتفع صوت الطبل و الغناء. " ليركب الإبن السعيد " على حصانة الموكب.

لم تنتبه الطلبات للأغاني. فما كادت تنتهى أغنية ، حتى تبدأ أغنية أخرى. كانت المغنية تستجيب لطلبات النساء أحيانا و أحيانا لطلبات الرجال مع قولها أثناء ذلك. ليغنى أحد آخر أيضا حتى أستريح قليلا. و لكن من كانت فيه الجرأة. و من كان يستطيع أن ينافسها فى ذلك ! مع أنها كانت تقول ذلك إلا أنها كانت تواصل أغانيها بدون توقف.

و خلال الأغاني لما قالت المغنية: " إنهض يا سيدى ليتشرف الحاضرون برؤية وجهك " أخفق قلب الجو و ساد الصمت و السكوت في كل الجهات. أصبح الناس الجالسون في الغرفة هامدين بلا حراك. ثم اضطرت زوجته مرة أخرى و أمعنت النظر فى وجه الشاه. و كان الشاه أيضا قد صار هامدا مثل الآخرين.

تهيج قلب الزوجة و رأت أنه لو ضاع هذا الوقت فسوف تصبح هى حجراً للأبد. فلتعمل شيئا ، و لابد من العمل شيئا ، حتى لا تصبح تمثالا.

تأخر الليل كثيرا. و كاد الحفل أن يختتم. و أراد الزوجة أن توزع اليوم الحلاوة بنفس الطريقة كما يوزعها الناس الآخرون فى هذه المناسبة. و لكن لما انتهى الغناء أحضر الشاى و الحلوى من أصناف عديدة فى الغرفة.

أدارت زوجة الشاه يدها فوق رأس ابنها و فيها ورقة نقدية من فئة مائة روبية ثم قدمتها إلى التى كانت تدعى "قينة الشاه".

احتفظى بها معك يا سيدتى. فاننى سوف آخذ منك الكثير فى المستقبل ، أجابت القينة. ثم ضحكت. و كانت ضحكتها تتلألأ مثل جمالها.

تغير لون وجه الزوجة. و بدا لها أن مغنية الشاه قد نجحت اليوم فى ربط قرابتهـا أمام الجميـع فى حضـور الشـاه و أهلكتهـا. لكنها تمـالكت و استردت قواهـا و عزمت علـى ألاّ تنهـزم اليوم. فاطلقت ضحكـة عاليـة. و قالت و هى تمسك الورقة النقدية :

" إنه سوف تأخذين من الشاه الكثير "

" و لكن متى تأخذين من يدى بعد الآن ...؟ فخذى اليوم "

أخذت قينة الشاه ورقة مائة روبية و غابت فجأة و انتشر لون سارى زوجة الشاه الوردى فى الغرفة.

تعريب : صراج الحسن

استعراض الكتب

اسم الكتاب : ملحمة الهند الكبرى المهابهاراتا

الناشر : عبـــد الالـــه المـــلاح

عرض : (الدكتور/ شميم الحسن أمانة الله)

الاستاذ المشارك بقسم اللغة العربية
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي،
الهنـــــــــد.

بين أيدينا ترجمة رائعة لكتاب من كتب التراث الهندى القديم و هو المهابهاراتا ، ملحمة الهند الكبرى ، ذلك لأنّها تضم خزانة كاملة من أنباء أساطير الهند و دياناتها. و قد قال عن هذا الكتاب الفيلسوف الهندي العظيم الدكتور راداكريشنان أنه "أعظم عمل أنتجته آسيا" و يقول جواهر لال نهرو إنه عمل شامخ ... موسوعة للأعراف و التقاليد و الأساطير ... مخزن غنى فيه أنواع الكنوز الثمينة ، المليئة بالحياة المتنوعة الخصبة المتدفقة بغزارة".

هذا الكتاب في نحو ٣١٨ صفحة من القطع الكبير و قامت بنشره "مكتبة الأسد" في دمشق.

المهابهاراتا هى إحدى الملحمتين فى الهند القديمة. أما الأخرى فهى "الرامايانا" و هى تستمد قصتها من حكاية استطرادية وردت فى ثنايا المهابهاراتا .

المهابهاراتا فى الواقع مجموعة من القصائد تنتظمها قصيـــدة واحـــدة. و هى الملحمة التى تتصور الحروب التى نشبت بين فرعى أسرة بهاراتا (الباندو و كورو) و هى ملحمة ما انقطع الناس عن تردادها عبر القرون و ما

زال هذه العهد بهم منذ ثلاثين قرناً أو تزيد حتى غدت تصور روحهم و فكرهم و ترسم لهم عالم القيم و المثل.

تقع المهابهاراتا في مئة ألف بيت من الشعر المزدوج. فهي تبلغ إذن ثمانية أضعاف الإلياذة و الأوديسة مجتمعتين و تكاد تبلغ ضعف حجم الشاهنامة. و يقول المترجم من هذا الكتاب في مقدمة ترجمته:

"إننا لا نعلم على وجه اليقين التاريخ الذي وضعت فيه المهابهاراتا. و لكن المرجح من إشارات في النص أنها تعود إلى ألف سنة قبل الميلاد. و قد ترجع إلى خمسمائة سنة أخرى قبل هذا التاريخ و ممّا لا ريب فيه أن الملحمة كانت في بدايتها أكثر بساطة و اقتصرت على رواية قصة آل بهاراتا و الحرب التي قامت بين عشيرتين من هذه القبيلة. موشاة بعرض للعقائد الفيدية القديمة . ثم لحقت بها إضافات كثيرة في العصور اللاحقة. و من ذلك سفر "*البهغفات غيتا*" الذي يعود إلى عصر متأخر.

و لقد تضخمت تلك القصة البسيطة في حبكتها. و أضيفت إليها حكايات رمزية و أساطير ، و ما عرض للهند من عقائد و فلسفات و ديانات. و باتت بعدئذ أشبه بالمخبر. فدخلتها عقائد الآريين بعد الفيدية . و زادت فيها البوذية و الجينية إلى الهندوسية. و كان أن أتى هذا المزيج مع دخول عقيدة البهكتي الصوفية بعقلية توفيقية فريدة وتجربة فكرية ذات خصوصية شديدة من سعيها إلى بلوغ الإنسجام بين عناصر متباينة. و مهما يكن الأمر ، فقد كان أثر المهابهاراتا على الفكر الهندي ، و المجتمع الهندي قوياً بل تجاوز حدود الهند إلى سواها من الأمصار " إن هذا الوصف صحيح و دقيق.

يقال إن المهابهاراتا قد جمعه و رتبه " فياسا" في ١٨ مجلداً كبيراً . و هي الشخصية الأسطورية التي تنسب إليه جميع أسفار الفيدا أو الحكمة.

إن الآريين في الهند قبل أن ينقسموا إلى طوائف بسبب شريعة مانو ، ينتمون إمّا إلى نسل الشمس Surya-Vansa أو إلى نسل القمر Chandra-Vansa و النسل الشمسي الذي حكم أوده ، كان أكثر شهرة ، و راما الوارد ذكره في الرامايانا هو بطله الأكبر. و المهابهاراتا هو قصة لحرب مخرّبة حاسمة طويلة بين أنسباء كورو و باندو المنحدرين من بهاراتا من بورو ، سلف فرع النسل الشمسي.

و عن سبب تسميته بالبهاراتا يقال إن الآلهة وضعت مرة المهابهاراتا في كفة و الفيدا في كفة أخرى ، فاصبحت كفتها راجحة . فمنذ ذلك الوقت سميت بهذا الإسم و هو يعني الوزن الأكبر.

و يقول الهنود إن قراءة *المهابهاراتا* يقضي على كل الذنوب حتى أن بيتا

واحدا منه يكفي لإزالة كل الآثام.

و خلاصة القول إن المهابهاراتا تشبه في روعتها جبال هملايا التي تبعث الرعب في قلوب مشاهديها بجلالها و ضخامتها.

أما بشأن الكتاب المترجم فنستطيع أن نوجز المعالم الكبرى فيه على النحو التالي:

أولاً : الكتاب مزيّن باللوحات التوضيحية الفنّية الملوّنة الجميلة المرسومة في عصور مختلفة و كلها تتعلق بالأساطير الواردة في الكتاب . و إن لوحة الغلاف خاصة مزينة بصورة تمثل عربة البطل أرجونا يقودها الإله كريشنا.

ثانياً : الترجمة و الإخراج فيقول المترجم "لقد حرصت على أن تصدر هذه الطبعة أمينة للنص و الروح التي أملته . و أن يأتي العمل في بيان عربي قويم قدر مايسرلي الله . ثم اضفت ملحقا للتعريف بأبطال الملحمة و المصطلحات الفلسفية الهندية .

هكذا ترى أن الكتاب قد خرج بشكل رائع جذاب و بهذا ملأ فراغا في المكتبة العربية.